أيام عاشوراء

نظرات نقدية على واقعنا في عاشوراء

محمود الموسوي

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

هوية الكتاب

* **الكتاب**: أيام عاشوراء.. نظرات نقدية على واقعنا في عاشوراء.

* **المؤلف**: محمود الموسوي.

* **الطبعة**: الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

* **الناشر**: **مؤسسة أهل الكساء** عليهم السلام

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾.

تقديم

منـذ أن فجرّ الإمام الحسـين عليه السلام بـركان الثورة ضد الظلم والفساد، اشتعلت جذوتها في نفوس الموالين، واستمر نورها يضيء الدرب لمسيرات الإصلاح والحرية، منذ ذلك الوقت وحتى عصرنا الراهن، بل وستستمر في إفاضة العطاء وتصدير قيم الحرية والإصلاح والعدالة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فذلك النور الوهّاج هـو ثقافـة النهـوض وروح الإبـاء في الثورة الحسـينية، فتكوّنت أيام عاشـوراء منبعاً للعطاء، فتلك هي أيام الله التي ينتصر فيها المظلوم على الظالم، وتتحقق فيها سنة الله التي لا تقبل التبديل.

فمعدن النهضة الحسـينية لا يتغيّر ولا يتبدّل، لأن نورهـا من نـور الرسـالة المحمدية، فمهما تقـادم الزمان ومهـما زاد رونقه ولمعانـه، فإن خاصية العطاء الحسـيني سـتبقى هي عينها، لا ينالها التحـول ولا التبديل، إنما ما يبقى متغيراً هو واقع الإنسـان الذي يعيش تلك النهضة

في مواسمها السنوية، فأسلوب تعاملنا مع عاشوراء الحسين هو الذي يحدّد مدى اقتباسنا من نورها قوة وضعفاً، وإن استفادتنا الحقيقية هي رهينة تعاملنا مع المناسبة ورهينة طريقة تفكيرنا فيها.

فموسم الإحياء هو إحياء للنفوس في أيام معدودات، لذلك تبرز أهمية تناول أيام عاشوراء من ناحية نقدية، لتهذيب العقول والسلوك، لنتهيئ للاستفادة المثلى من عطاءات الإمام الحسين عليه السلام وعطاءات كربلاء، ولكي نكون ممن استجاب لدعوة الحياة الربانية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾[1].

لقد لاحظنا أن هنالك بعض السلوكيات والرؤى السلبية التي تستحضر في موسم عاشوراء في كل عام، وقد تبرز بعض الخلافات والنزاعات، فحري بنا أن نراقبها مراقبة الناقد البصير، من أجل تفاديها والتقليل من آثارها على مجتمعنا، وفي جانب آخر فلأنه موسم عطاء، فإن الطموح يستدعي أن نأمل في التطوير وأن نتجاوز حالات الضعف والخلل في طرق تعاملنا

(١) سورة الأنفال: آية/ ٢٣.

السلوكي والإداري، ولهذا نوجه النقد بقصد الانتقال إلى طور أفضل وحالة أمثل.

لقد ابتعدنا في مناقشتنا للموضوعات المختلفة في هذا الكتاب عن حالة النقد السلبي الهدّام، وابتعدنا عن ما يثير الحساسيات قدر الإمكان، فكانت معالجاتنا مع الموضوعات والأفكار والسلوكيات، لا مع الرجال والأشخاص والجماعات والطوائف.

تلك مقالات متنوعة، ما يربطها هو اختصاصها بموسم أيام عاشوراء، وقد كتبتها في مواسم مختلفة، وقد نشرت في العديد من النشرات والصحف والإصدارات الخاصة بعاشوراء، وبعضها قد نشر عدّة مرات وفي بلدان ومناطق مختلفة، وقد انتشرت في شبكة الإنترنت ونشرت في عدة من الشبكات، وما زلت أكتشف يوماً بعد يوم أن بعضها ينشر هنا أو هناك، حيث تقتبس من شبكة الإنترنت أو المطبوعات.

سيلاحظ القارئ أن كافة المقالات والحوارات، مع اختلافها وعدم وحدة موضوعها، إلا أنها تتحد في أسلوب النقد، ومنهج المعالجة، فقد اعتمدنا على قيم العدالة والإنصاف من جهة، وعلى إرادة التغيير

والتطوير من جهة أخرى، كما أننا اعتمدنا في التأسيس للرؤى بهدى القرآن الكريم، وبينات السنة الشريفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام.

وأسأل الله أن أكون قد وفقت لوضع بعض النقاط على بعض الحروف، حيث أن مسيرة النقد الإيجابي المشفوع بالعمل تحتاج إلى استمرار من أجل تهيئة القلوب والعقول، لتتلقّى نور المسيرة الحسينية الربانية، ليكون لها وقوداً لتحيى حياة طيبة.

نسأله تعالى السداد والقبول، والحمد لله رب العالمين.

محمود الموسوي

البحرين - بني جمرة

١٤٣٠هـ

الشعائر بنظرة رسالية..
دموع زين العابدين عليه السلام وحزن زينب عليها السلام

موسم عاشوراء كذكرى سنوية متجددة تمر على الإنسان وتمثّل إحياءً للقيم الحسينية في قالب الشعائر والمظاهر المختلفة، لتكوّن صبغة عامة داخل المجتمع، فمطلوب من الإنسان الموالي أن يظهر الحزن بل أن يظهر الجزع بمختلف أنواعه وحسب ما يتعارف لديه في التعبير عن جزعه، ومطلوب من الإنسان الموالي أن يرفع ذكر الإمام الحسين عليه السلام، ويرفع مظلوميته ومظلومية من قتل معه عالياً ليسمع كل العالم بما جرى على سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا ما قام به الإمام زين العابدين عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام بأن نقلوا خبر عاشوراء، لكل مكان يطأونه، فقد بكى الإمام زين العابدين عليه السلام طوال حياته، آخذاً بتذكير الناس بما جرى على الإمام الحسين عليه السلام من ظلم، وهكذا كانت مسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام في إظهار الحزن، وهذا ما ورد عن إمام

العصر القائم المهدي المنتظر عليه السلام الذي يقول في الزيارة «**فَلَأَنْدُبَنَّكَ صَبَاحاً وَمَسَاءً وَلَأَبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بَدَلَ الدُّمُوعِ دَماً..**»[١].

كما أن هنالك جانباً آخر يتمثل في إحياء هذه الذكرى، وهو بعد المضمون القيمي والفكري لهذه المناسبة، فالإمام الحسين قام من أجل إصلاح الوضع الفاسد الذي انحرف عن القيم التي أسسها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، واستمرار هذا البعد هو استمرار للعمل من أجل الدين ومن أجل تمكين قيم الدين في المجتمع، ومواجهة الفساد بالإصلاح، وهو القائل: «**وَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ**»[٢].

فهذا البعد هو اللبّ، والبعد الأول هو الإطار والشكل، وكلاهما أساسيان ومهمان في إحياء الشعائر الحسينية، فاللب والمحتوى يحتاج إلى إطار وحماية، كما أنه لا معنى للإطار من غير لب ومحتوى.

بهذا التصوير للشعائر الحسينية، وبهذا الفهم، قد تبرز نظرات وآراء، تغلّب بعضها أهمية المحتوى والمضمون القيمي، فتقوم بإلغاء مادونه، فتلغي على

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٩٨، ص٢٣٨.
(٢) صحيفة الحسين عليه السلام، جمع الشيخ جواد القيومي، ص٢٧٤.

سبيل المثال حالة البكاء والحزن وقد تكتفي بذكر الأبعاد القيمية من أجل التأسي بها!!، وقد تبرز نظرة أخرى للشعائر، وتقول بأن المطلوب والأساس هو حالة الإشعار، فتلغي البعد القيمي أو لا تهتم له، فيكون البكاء عندهم حسناً حتى لو كان لغير الله.

إذاً كيف ننظر للشعائر الحسينية؟.

ينبغي النظر للشعائر الحسينية بنحو من الخصوصية، بإعتبار أنها قضية محورية في الدين، وهذه الخصوصية ينبغي أن لا تقاس بغيرها، بل هي مقياس بحد ذاتها، وما دمنا نمتلك رصيداً من الروايات الصادرة في هذا الشأن عن أهل بيت العصمة والطهارة، فإننا ينبغي أن ننظر لها بجدية ومن دون تبرّع في الفهم، فإنه كما ورد في البكاء على الإمام الحسين من فضل كبير لابد أن لا يتغافل عنه، كما هو بيّن في الروايات الكثيرة، ومنه قول الإمام الرضا عليه السلام لإبن شبيب (يابن شبيب إن بكيت الحسين حتى يصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً أو كثيراً). فإن رحمة الله الواسعة تسع من يبكي على الإمام الحسين عليه السلام لتغفر ذنوبه الشخصية بسبب ذلك البكاء، هذه خصوصية واحدة ضمن خصوصيات عدّة تكتنف

الرؤية للشعائر الحسينية.

ومن جانب آخر لا ينبغي التساهل في البعد القيمي، بحيث يجعلنا تساهلنا لا نتأسّى بالإمام الحسين في التصدّي للظلم والطغيان، أو التحلي بالسلوكيات الحسينية، لأن قيام الإمام الحسين عليه السلام ما كان إلا إنقاذاً لهذا الدين وما ثار إلا لكي يصلح الوضع الفاسد، ولأن الإمام الحسين عليه السلام هو قدوة الإنسان المسلم الذي ينتهج نهج المعصوم، فلا بد أن نتمثّل تلك الأبعاد التي جاءت بها الثورة الحسينية، ومن أساسياتها أن نكون حسينيين في أخلاقياتنا وفي معاملاتنا مع الآخرين، وأن نساهم في بناء المجتمع وتحمّل المسؤولية لرفع مستواه والمطالبة بحقوقه المنتهكة.

لعل البعض يريد أن يدافع عن الامام الحسين عليه السلام ولكن بأسلوب يضر بقيم الإمام الحسين التي من أجلها جاهد واستشهد، فيخلي كل الشعائر من القيم ويجردها من محتواها، وليس مهماً عنده أن تضرب القيم الحسينية والمبادئ الدينية بل ولا يتحمل أي مسؤولية في هذا الإتجاه، وهنا يمكن تفسير التراجع المجتمعي عن قيم الإمام الحسين عليه السلام وإحلال العصبيات والظلم في ما بين الناس أنفسهم، محل حمية الدين وقيم العدالة

والتسامح بين المسلمين.

كما أن البعض الآخر قد يتمسّك بالقيم، إلا أنه يناقضها بممارساته، أو أن لا يهتم في إشاعة المظاهر الحسينية، كحالة إعلامية عالمية، وقد يلغي البعض أبرز مظهر يتجلّى خصوصاً في يوم العاشر من محرم الذي ورد فيه عن أهل بيت العصمة أنه يوم حزن وبكاء وجزع، وهنا لا تكون لتلك القيم حرارة في القلوب ولا جاذبية ولا مسؤولية تجاه تبليغها وإيصالها للآخرين.

التوازن في الرؤية هو أن ننتهج نهج أهل البيت عليهم السلام ومن حذا حذوهم تجاه هذه المسيرة العظيمة، فإن الإمام زين العابدين عليه السلام بكى طوال حياته على أبيه الحسين عليه السلام، إلا أنه كفكفها في المسجد الأموي عندما وقف أمام الطاغية وهو يؤنّب خطيبه قائلاً: «**وَيْلَكَ أَيُّهَا الْخَاطِبُ اشْتَرَيْتَ مَرْضَاةَ الْمَخْلُوقِ بِسَخَطِ الْخَالِقِ فَتَبَوَّأْ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ..**»، وقال مشيراً إلى الطاغية يزيد -عندما أمر المؤذّن أن يقطع عليه خطابه بالأذان-: «**مُحَمَّدٌ هَذَا جَدِّي أَمْ جَدُّكَ؟، يَا يَزِيدُ فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ جَدُّكَ فَقَدْ كَذَبْتَ وَكَفَرْتَ وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ**

جَـدِّي فَلِمَ قَتَلْتَ عِتْرَتَهُ.. »[١]. وكادت الدموع أن تكون وسـيلة للهروب مـن المسـؤولية، إلا أن زينب بنت علي عليها السلام خاطبت المجتمع آنـذاك قائلة: « **فَلَا رَقَأَتِ الدَّمْعَةُ وَلَا هَـدَأَتِ الرَّنَّةُ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْـدِ قُـوَّةٍ أَنْكاثاً تَتَّخِـذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُـمْ أَلَا وَهَلْ فِيكُـمْ إِلَّا الصَّلِفُ وَالنَّطِفُ وَمَلْقُ الْإِمَـاءِ وَغَمْزُ الْأَعْدَاءِ أَوْ كَمَرْعًـى عَـلَى دِمْنَةٍ أَوْ كَفِضَّةٍ عَلَى مَلْحُودَةٍ أَلَا سَـاءَ مَا قَدَّمَتْ لَكُمْ أَنْفُسُـكُمْ أَنْ سَـخِطَ اللهُ عَلَيْكُمْ وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ..** »[٢].

فالتـوازن يقتضي أن تكـون شـعائر متنوعة بكافة أبعاد من يستشـعرها مع التأكيد على المضامين المسـؤولة في الثورة الحسينية.

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٥، ص١٣٧.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٥، ص ١٠٩.

الشعائر والمشاعر

لا يختص هذا المقال بموضوع الشعائر من الناحية العلمية، ولا يهدف إلى ترجيح رأي فقهي على آخر، بخصوص النوعية والشروط وما شابه ذلك، فمن يريد الرأي الفقهي فهو عند الفقهاء واضح جلي، يتفقون في مجلم الشعائر، ويختلفون في بعض المفردات البسيطة، هل تدخل هذه ضمن الشعائر أم لا، كما هو الحال بالنسبة لشعيرة موكب التطبير والضرب بالسلاسل، ولا يخفى على مطّلع أن القلّة القليلة قالوا بعدم تأييدها وهي محترمة في اجتهادها، والكثرة الكثيرة قالوا بجوازها بل باستحبابها، ومع أن البعض يحاول أن يبيّن للناس هذه الحقيقة معكوسة، أي بأن الأكثر من الفقهاء قالوا بعدم الجواز، إلا أن المنصف والمتابع يكتشف الحقيقة عند أبسط بحث.

كل ذلك لا يهمنا في هذا المقال، باعتبار أن المسألة فقهية يختص بها الفقهاء، إلا أن ما أود تسليط الضوء

عليه هو إشكالية يقع فيها بعض من يرفضون نوعاً معيناً من الشعائر، ويعتبرونها مشاعر مجرّدة، عندما يسيئون بألفاظ لا تتناسب والقيم الإسلامية عند توصيفهم لهذه الشعائر والممارسات أو عند توصيفهم لمن يقيمونها ويلتزمون بها بناء على ما أفتى به قسم كبير من مراجع الدين العظام (رحم الله الماضين وحفظ الباقين)، وفي البداية أؤكّد على حق كل مكلّف بأن يلتزم بفتوى المرجع الذي يرجع إليه في المسائل الشرعية، وأن لكل شخص عاقل أن يعمل على تشخيص واقعه ويرى أن هذا النوع من الشعائر قد يؤذيه أو يؤذي الصورة الإسلامية العامّة ويتحفظ ويمتنع عن إقامة هذا العمل أو ذاك بناء على تشخيصه للموضوع، فإن الحكم الشرعي من حق الفقهاء والتشخيص الواقعي على المكلّف، فإذا قال الفقيه أن هذه الشعيرة تحرم إذا سبّبت إساءة إلى الدين مثلاً أو إذا سببت ضرراً، فإن على المكلّف بدوره أن يقوم بخطوة التشخيص التي تقوده إلى تطبيق الحكم الشرعي في الخارج، فقد يوجد إثنان من المكلّفين يقلدان نفس الفقيه، ولكن يختلفان في التشخيص الشخصي دون التشخيص النوعي العام.

إلى هذا الحد لا يوجد مشكلة باعتبار أن الجميع

يعترف بحق الإجتهاد وحرية الرأي والممارسة للعبادات، وأن لكل شخص مرجعاً فقيهاً يستقي منه فتاواه، ولكن المشكلة هي في حالة التوصيف والإستخفاف التي يمارسها البعض في خطابه وفي إبداء رأيه، كالعبارات التي توحي أو تصرّح، بأن من يقوم بذلك ليس لهم مشاعر سويّة، أو أنهم يسيؤن إلى الإمام الحسين عليه السلام أو أعداء الإمام وما شابه ذلك من ألفاظ عنفية غير لائقة، لا تحسب حساباً للطرف المقابل في حرية رأيه أو حتى في مشاعره، فهذا الخطاب، سواء كان على المنابر أو في المنشورات أو في اللآفتات والشعارات، هو ما ينبغي أن يلغى من واقعنا، لترتفع كل المنغصات المناقضة لحالة التعايش والتوادّ والأخوة الإيمانية التي يدعو إليها الدين الإسلامي في الكثير من آياته ورواياته.

ومن الغريب جداً ما نراه من البعض الذين يبدون طوال العام احترامهم للفكر الآخر، وللطرف الآخر، ويحسبون ألف حساب لمشاعر الآخرين، فيجلسون مع المسيحيين والمخالفين لهم في العقيدة، سواء العقيدة في الله أو النبوّة أو في الإمامة، ويدعون الآخرين ليل نهار، بأن ذلك من عمق الدين ومن أصول المعاملة الدينية التي أوصى بها الله عز وجل، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل

بيته عليهم السلام، إلا أننا نجد الإستثناء الوحيد هو عندما يحل شهر محرم الحرام، فيتبرعون بالإساءة إلى مشاعر إخوانهم في الدائرة الإيمانية الولائية، ولا يحسبون لهم أي حساب، إنها مفارقة عجيبة جداً وتحتاج إلى وقفة صادقة ومراجعة صريحة مع النفس، فكيف ننصف الآخرين من المختلفين في العقيدة، ولا ننصف الآخرين من المتفقين معنا في العقيدة؟!.

هذه المسألة هي مسألة أخلاقية في الدرجة الأولى، وإن لم تكن كذلك فهي مسألة فكرية، وستكون بذلك أكثر خطورة من أختها، بإعتبار أنها تشير إلى أن هنالك خللاً فكرياً نعيشه، ولا يعبّر عن أصالة نظرتنا لحرية الرأي واحترام الآخرين في مشاعرهم، فقد تكون نظرة احترام الآخر عند البعض نابعة من الضعف أمام الآخر أو الخوف أو الإنبهار، أو الاستجابة إلى خطاب سائد يؤمن بحرية الرأي واحترام الآخر في الفكر والعقيدة، لا نابعاً من نظرة أصيلة مستقاة من الدين وقيم الدين حول التعامل مع الآخر بكل احترام، ولا شك أن هذا امر لا ينطبق على الرافضين لشعيرة معينة فحسب، بل هو منسحب كذلك على الموافقين في تبنيهم لهذا الرأي أو رفضهم الرأي الرافض.

إن الأمـر لا ينته بانتهاء العـشرة الأولى من المحرم الحرام، لأن أمامنا المناسبات العديدة، ومنها يوم الأربعين الذي تتكرر فيه إحياء الشعائر بمختلف أنواعها وما يليه مـن مناسـبات طوال العـام، لذلك فهو أمـر مهم ينبغي الإلتفـات إليـه، لتكون الشـعائر كلها مراعية للمشـاعر كلها، ولتكون مشاعرنا مراعية لشعائر غيرنا.

الشعائر مقاصد إلى الله

السلام على إمام الهدى والعدل، وقائد المؤمنين المتقين، ومقيم الشريعة والدين، السلام على مصباح الهدى وسفينة النجاة، السلام على الحسين الشهيد بكربلاء، السلام على الذبيح المضرّج بالدماء..

كل يوم من أيام حياتنا أصبح عاشوراء، لأننا نندب الحسين عليه السلام ونقيم مجالسه الشريفة، وفي كل أرض نطؤها تجلّت لنا كربلاء الواقعة، كربلاء التي فصلت بين الحق والباطل، كربلاء التي كشفت الزيف والإستغلال..

في استحضارنا لمناسبة استشهاد مولانا الإمام الحسين عليه السلام في كل عام، إننا نستشعر معاني سامية قد تجذّرت في قلوبنا، فإننا نقوم بالحزن مواساة لأهل البيت عليهم السلام وتعزية لإمام العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف).. ونستحضر معنى الحرية والفداء من أجل

الدين وقيم الدين، ونستحضر الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهذه مقاصد الشعائر، مقاصدها أن نستشعرها حقاً.. نستشعرها قلبياً بدافع التقوى.

فإذا أفرغنا الشعائر عن محتواها ومضامينها وإشراقاتها على النفس التي تسير في طريق الله تعالى.. فإننا لن ننال منها ما يناله المتقون المخلصون من فيوضات حسينية نورانية.

فالصلاة عبادة لله رب العالمين، ولكن الإمام المعصوم يقول، قد لا ينال منها البعض إلا التعب، وكذلك الصيام، فقد ينال بعضهم منه مجرّد الجوع والعطش.. فإن العبادة تكون كبيرة ومؤثّرة على المهتمين بها والخاشعين فيها بقلوبهم، ألم يقل الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[1].

من هنا، فينبغي أن يكون الإخلاص في أداء الشعائر طريقنا إلى الخلاص في الدنيا والآخرة، أليس الإمام الحسين هو سفينة النجاة والخلاص؟.

ألم يقل الإمام أبو جعفر عليه السلام في زيارة الإمام

(١) سورة البقرة: آية/ ٤٥.

الحسين عليه السلام: «**أَتَاهُ زَائِراً لَهُ عَارِفاً بِحَقِّهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ حَجَّةً وَلَمْ يَزَلْ مَحْفُوظاً حَتَّى يَرْجِعَ**»[1] وفي روايات أنها تعدل عشرين حجة بل أفضل، أيكون هذا الزائر العارف المعترف بحق الإمام والإمامة، كمن يزور منكراً للإمام والإمامة؟.

فلا يمكن أن نسوّغ لأنفسنا أن يداخلها الرياء والغرور والعجب، ونحن في طريق الله، فإحياء الشعائر من العبادات العظيمة، وتلك الأمراض القلبية من مفسدات الأعمال، وهي صادّة عن الوصول إلى مقاصد العبادات والشعائر، وهي التقوى.

كما قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ**﴾[2].

فالشعائر نابعة من تقوى القلوب، لا من العصبيّات والغرور.. فقد يكون إظهار الشعيرة تحدياً لسلطان جائر أو متعصّب منكر، فتكون نابعة من تقوى القلب لإعزاز شعائر الإمام الحسين عليه السلام وتثبيتها، وقد يكون إظهار الشعائر تعصباً لشخص أو لشيء تغذية لشعور الغرور.. فلا تكون نابعة من التقوى.. هنا

(١) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ٣٠٠.
(٢) سورة الحج: آية/ ٣٢.

يختلّ الميزان.

إن الله تعالى يطالبنا أن نهتم بالمضامين في كل أفعالنا وعباداتنا، العبادات الشخصية أو العبادات والمهام الإجتماعية، فيقول في كتابه الكريم بكل صراحة: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1].

في إحياء الشعائر على القلب أن يستشعر ندى التقوى بوعاء الإخلاص، ويصدح بنيّته قائلاً: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

(١) سورة البقرة: آية/ ١٧٧.
(٢) سورة الأنعام: آية/ ١٦٢.

عاشوراء.. الوعي.. المجتمع: أيّة علاقة؟

إن كل الطاقات تستنفر في مناسبة عاشوراء الحسين عليه السلام في شهر محرم من كل عام، فتتحوّل دورة الحياة الروتينية اليومية إلى حياة أخرى، وكأن الناس انتقلوا من طبقة الأرض إلى طبقة في السماء، نرى المجتمع دائباً في حركته، وخصوصاً جيل الشباب منهم، فلا نراهم يفترون لحظة واحدة، فإما هم في مجلس تعزية أو يهمّون بإقامة ندوة أو إعداد لموكب أو تهيئة لمسرح أو تمثيل لواقعة الطف الأليمة، وتكاد النشريات لا تتوقّف للحظة، ففي كل عام تحاول الحسينيات والجمعيات واللجان والهيئات أن تقدّم الجديد.

هذه الدورة الحياتية التي تستمر عشرة أيام، وقد تزيد لأيام، بل قد تتواصل مع شهر صفر، يمكن أن تعادل هذه الأيام في عطاءاتها عطاءات العام بأكمله، وقد تفوق الكمّ الثقافي والفكري الذي يدخل في وعي المجتمع طوال العام، حيث المنابر والنشريات والجلسات

الحوارية وغيرها مما يزدحم بها الواقع.

أمام هذا المشهد الذي ينظر إليه البعض بعين الحسد أو الغبطة ممن هم خارج الدائرة الحسينية في إحيائها الشامل بهذه الكيفية والحرارة التي ننعم بها، نحن أمام تساؤلات مهمّة بخصوص المحتوى الذي يملأ هذا الفعل العاصف لروتين الحياة، فما دام هو وقت يشوّق للعمل والحركة، فمن الطبيعي أن تدخل فيه بعض الشوائب التي لا تمت إليه بصلة، لذلك فإن الفئة الأوسع في المجتمع والأكثر فاعلية من الشباب هم أمام مسؤولية الإجابة على هذا التساؤل، إلى أي فعل يمكن أن تتوجّه قوة النشاط التي يمتلكونها خلال هذا الموسم المبارك، وما يليه من مناسبات مماثلة؟.

الإجابة لا أعتقد أنها صعبة، إلا أن الإلتزام بها هو ما يمثل التحدّي، ولعل عدم الإلتزام بها عند البعض ناتج من الغفلة التي قد تصيب الانسان في مراقبة نفسه وعمله ومآلات أنشطته، تماماً كالأفعال الأخلاقية التي هي من البديهيات في وعينا إلا أن البعض نراه لا يرى مانعاً من اجتراح بعض المحرمات كالغيبة مثلاً.. فنحن أمام موسم حسيني كل أفعاله حسينية، بمعنى أنها تسير في اتجاه المقاصد الكبرى والعظيمة التي انتهجها الإمام

في خط الله تعالى بلوغاً لرضاه جل شأنه، فإذا وضع هذا الميزان في كافّة الأعمال والأنشطة والمجهودات الشبابية، وتمّت المراقبة الدائمة والتذكير المستمر بهذا الداعي والمقصد، فسوف تتسم جميع تلك الأنشطة بوسام إلهي يستحق أن يتحرك في اتجاه النمو، فما كان لله ينمو..

ومن مصاديق المشكلات وهي ما يمكن أن نسميها منغّصات للأجواء الحسينية المتدفّقة، هي مشكلة حرية الإنسان أو الحسينيات في إحياء نوع خاص من الشعائر وفقاً لرؤاه ومتبنياته المرجعية والفكرية، أو مشكلة المواجهات الخفية وغير الخفية للحسينيات بعضها ببعض، أو استغلال المنبر للتعريض والتشهير أو في مواضيع لا تمت بصلة لما وضع إليه وما شابه ذلك.. كل تلك الأفعال يمكنها أن تذوب وتتلاشى بفعل المراقبة المعيارية للأعمال لتتطابق الأعمال مع النيّات والمقاصد.

ولأن موسم عاشوراء متدفّق ثقافية وعلميًّا، ويعتبر بالنسبة إلى أكثر الناس هو موسم التلّقي الأكثر كثافة طوال العام إن لم يكن الوحيد، فينبغي أن تجوّد المواد الثقافية التي تلقى على المنابر ويهتم بموضوعيتها وكثافتها، وكذلك المواد المنشورة التي تصل إلى كافة الفئات العمرية في المجتمع وتصل إلى الشرائح المتنوّعة

في المجتمع، فإذا عبّر كل ذلك عن الثقافة الحسينية وفق منهج أهل البيت عليهم السلام، فإنها ستكون عامل بناء فكري رصين للمجتمع، وعامل جذب نحو الحق المتمثّل في أهل البيت عليهم السلام، كما قال الإمام الرضا عليه السلام قولته المنهجية: «**فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا**»[1]، فتوضيح مواطن النور من كلام أهل البيت، ومعالجة المشكلات المعاصرة التي تلمّ بالبشرية وفقاً لمنهاجهم عليهم السلام هو عامل من عوامل الدعوة إلى أهل البيت عليهم السلام.

أمّا إذا كان موسم عاشوراء والمواسم المشابهة مواطن لإثارة النزاعات وإثارة الإختلافات، فإنه سيكون عامل نفور، فأهل البيت دعو مواليهم بأن يتمثّلوا سلوكهم، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**مَعَاشِرَ الشِّيعَةِ كُونُوا لَنَا زَيْناً وَلَا تَكُونُوا عَلَيْنَا شَيْناً قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَاحْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ وَكُفُّوهَا عَنِ الْفُضُولِ وَقَبِيحِ الْقَوْلِ**»[2].

فموسم عاشوراء هو فرصة لإثبات الحقائق، ونشر الوعي الصادق، والصدوع بالحق، خصوصاً أمام

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٢٧،ص ٩٢.
(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٢، ص١٩٤.

توجّه الأنظار العالمية لهذه الشعائر المقدّسة، فينبغي لكل العاملـين كل في موضعه أن يغتنم هذه الفرصة، ويتوكّل عـلى الله، فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾[1].

(١) سورة الطلاق: آية/ ٣.

العمل الديني من الطور الفردي إلى الطور المؤسسي

إن الإنتقال من العمل الفردي إلى العمل المؤسسي في المجال التطوّعي الديني يعتبر تحوّل نوعي في مساراته وتكامليته، استجابة لمتطلبات الواقع الذي يحتاج إلى كثافة في الإمكانيات وتوحيد للجهود ورص الصفوف في سبيل إنجاز المهام الموكلة للمؤسسة الدينية في ساحة المجتمع.

إلا أنها لا ينبغي أن تقف عند هذا الحد من طور التقدّم، وإنما عليها أن تستوعب الشروط الإدارية التي تقوم عليها فكرة المؤسسة لكي تؤتي فاعليتها بقوة المؤسسة لا بقوّة الفرد.

فمن الفجوات التي تعاني منها أغلب الجمعيات والمراكز والحوزات والحسينيات المهتمة بالشأن الديني هي أنها لم تول الجانب الإداري أهمية بقدرالجوانب

الأخرى، برغم أن ما يمايز العمل الفردي عن المؤسّسي هو النظام الإداري الذي تعتمد عليه، ليكون مجرى ونهجاً لكافة الجهود، محققاً بذلك قوّة العمل المؤسسي.

إن الفكر الإسلامي لا يخلو من الأسس الأولية التي يعتمد عليها التفكير المؤسسي، مثل قيمة التعاون، والتنافس، والتخصص، والتشاور، والتنظيم، والمراقبة، والاتقان، وما إلى ذلك من قيم، إلا أن المؤسسة الدينية مازالت بعيدة عن هذه القيم العظيمة، وإن قربت منها بعض التجمعات الدينية، فإنها مازالت تطبقها على المستوى الفردي لا المستوى الجمعي والمؤسّسي، أي أنها لا تضعها في قالب المؤسسة ولخدمة المؤسسة، ولا تجد لها نظاماً يربط بينها لتشكل خلية تكاملية، لتصبح كل قيمة فيها تدعم الأخرى، ولذلك فإن هذه القيم تفقد بريقها وتفقد تأثيرها في الواقع بالشكل المطلوب ويبقى تأثيرها محدوداً وضيّقاً، فكأننا قمنا بإنشاء هياكل مؤسّسية تحركها الروح والفكرة الفردية، وهذا إنما يقتل الفاعلية لهذه المؤسسة.

ومن أجل إنقاذ المؤسسة الدينية بشكل عام سواء كانت ذات مهام ثقافية أو اجتماعية أو خيرية أو شرعية، ينبغي أن يعاد النظر في طريقة سير هذه المؤسسات من

الناحيـة الإداريـة، و معرفـة مـدى إحكامهـا وتفعيلهـا لقيم الديـن في القالب المؤسـسي، وإلا فنحن أمام خطر السـقوط أو الفشـل في تحقيق أي منجـزات حقيقية على أرض الواقع.

إن الفكـرة الأسـاس في هـذا المقـال هـي أن تقوم المؤسسة الدينية بإعداد الكادر الإداري وفقاً للمتطلبات الجديـدة التـي فرضهـا واقع المؤسسـة، عبر وقفـة تعيد تركيـب القيـم الدينيـة من جديـد في قالب المؤسسـة، و لا ضـير في أن تتوقّـف هـذه الكيانـات عـن العمـل في سـبيل تنمية الكفاءات الإدارية وإعـداد النظام الإداري المتماسـك الذي يضمن الفاعلية في الأداء والإستمرارية في العمل كما هي الخصائص الأساسـية لفكرة المؤسسة؛ لأن من الأسـباب التي أدّت إلى هذه النتيجة الحالية هي المبادرة في تأسيس كيانات دينية من قبل الكوادر الفردية و مبـاشرة العمـل فيها بـذات النهج و بنفـس الطاقات، فصـارت المؤسسـة الدينيـة مجـرد ملتقـى لمجموعـة من الكفـاءات، يزداد نشـاطها عندما يزداد عـدد الفكاءات المنتمية لها، ويقل النشاط بقلّتها.

ونحـدّد نقـاط عمليـة يمكـن أن تسـاهم في هـذا التحوّل هي كالتالي:

* صياغة نظـام إداري فاعل: يجمع الكفاءات، و يربط بينها بالنظم الإدارية المعروفة (التخطيط، التنظيم، التوظيف، التوجيه والرقابة والمحاسبة).

* تأهيل الكفاءات إدارياً: لكافة العاملين، فجميع العاملين بمختلف تخصصاتهم بحاجة إلى مهارات إدارية لخدمة المنحى الذي يسيرون فيه.

* التخصّـص وفقـاً لمتطلبـات العمـل: من جميع النواحـي الإداريـة البحتـة، و الماليـة وغيرهـا، وعـدم الإكتفاء بالكفاءات الفكرية والعلمية في المجال الديني.

* دراسـة نواقـص المؤسسـة: وفقـاً للمطلبـات الجديـدة لهـا كمؤسسـة، لا نشـاط فـردي، والعمل على معالجتها جذرياً، وليس بطريقة الطوارئ.

ولذلـك فـإن من المقـترح على أغلب المؤسسـات الدينية أن تأخذ استراحة عمل، ومعالجة كافة الفجوات بشكل جدّي، لكي يكون الإنطلاق للعمل بصورة أفضل وأكثر جدوى ليؤتي ثماره لنطاق أوسـع و للمحافظة عى استدامته ونمائه.

بين الحسينيات والجمعيات:

جاءت الجمعيات الثقافية الإسلامية لتضاف في رصيد العمل الإسلامي بالقالب المؤسسي، بجانب الحسينيات وهي الصروح التي تقام فيها مراسيم إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، وعلى رأسها إحياء ذكرى عاشوراء الحسين عليه السلام، وفي الوقت الذي تطوّرت فيه الحسينية في الجانب الوظيفي والإداري لتدخل في دائرة المؤسسات، يقفز أمامنا سؤال مهم يختص بهاتين المؤسستين، وهو ما هي المهام الفارقة بين الجمعية والحسينية؟

للإجابة الدقيقة حول هذا التساؤل نحتاج إلى مساحة أكبر من هذه، ولكننا نلمّح لما هو مهم في حل هذه الإشكالية، وأقول إشكالية، لأنها بالفعل كذلك، فإننا نرى أن هنالك تداخلا وتشابهاً في كلتا المؤسستين، ففي الوقت الذي تريد الحسينية أن تنموا في العطاء وتوسع دائرة عملها، وتبتكر وسائل حديثة، كالبث المباشر عبر الانترنت وإصدار النشرات وتكوين المعارض والمسرح

وغير ذلك، فإن الجمعيات تلتزم عملا روتينياً لا يتعدى عمل الحسينيات.

ينبغي أن نلاحظ ونحن نريد أن نمايز بين المؤسستين، أن للحسينية ملامحها الخاصة ولها رسوخها التاريخي الطويل في هذا النوع من العطاء، ولها مكانتها وقداستها في المجتمع، وعليه فإنها لا تأتي، بل تؤتى، ومن جهة أخرى فإن الجمعيات هي مكسب جديد لصالح العمل الثقافي، وبالتالي فإن اعتباريتها تتكون بالأساليب والمهام التي تتصدّى لها، ولذلك فإن الخيار الأسهل هو أن نتوجه للجمعيات لنرسم لها اعتباراً نوعياً جديداً يغاير الحسينية في الأساليب بشكل جذري، ويؤسس لمهام جديدة لم تدخل ضمن نطاق الحسينية، لكي تكون الجمعيات بالفعل مكسباً نوعياً لصالح العمل الثقافي والاجتماعي، ليتوسع عرضياً، ولكي لا تكون نسخة إضافية من الحسينية.

فالجمعيات الثقافية مدعوة إلى أن تضع في اعتبارها وهي ترسم استراتيجيتها هذا التساؤل، لأنه سؤال فارق يتحدّد بالإجابة عليه مستقبل عمل الجمعيات في المجتمع.

ولا يعني ذلك أن لا نتوجه للحسينية كمؤسسة بالحديث، فلكي ترقى الحسينية بالمجتمع وثقافته وتوطّد علاقة المجتمع مع أهل البيت عليهم السلام، عليها أن تجدد في أساليبها، لتكون جاذبة لأكبر شريحة وأخطرها في المجتمع وهي الشباب، من الذكور والإناث.

شريفة الأمريكانية وعاشوراء

لو فتشنا عن السبب الذي كان وراء توقّد عاشوراء في كل عام، لو جدنا أنه كان بسبب ما قدّمته من تضحيات وبطولات، وبسبب عظم المصاب الذي هو ليس ككل مصاب، بحيث أن كل مصيبة تتصاغر أمام مشاهدها الأليمة.

فكانت هذه الحرارة في قلوب المؤمنين متوقدة ومستمرة، وقد أنبأ عنها غيباً الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد جاء عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحسين بن علي عليه السلام وهو مقبل فأجلسه في حجره وقال: «**إِنَّ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ حَرَارَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَبْرُدُ أَبَداً**»[1].

فهذا إخبار بالغيب، ورهان على أن هذه الشعائر لا تندثر أبداً ولا تنطفئ، لأن الإمام الحسين عليه السلام قام

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج١٠، ص ٣١٨.

برسالة الإسلام من أجل رسالة الإسلام، والتي هي نور الله، والإمام الحسين عليه السلام هو مصباح الهدى ونور الحق، وتشمله الآية التي تقول: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

ولهذه الشعائر الأثر البالغ في تثبيت الدين وإحياء مفاهيمه في قلوب الناس وعقولهم، فتكون طوفاناً أمام الفيضانات المختلفة، التي تعمل لمحو الدين، وتسعى لإخماد رسالة الإسلام، ألم يقل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ**»[2]، أي أن بقاء الرسالة ببقاء الحسين، وبقاء الحسين هو بقاء للرسالة.

فهذه الشعائر بعمومها هي التي تعبّر عن تلك الحرارة التي لا تبرد أبداً، وبقاؤها يفوّت الفرص على أعداء الدين، وعلى كل من يريد أن يبدّل إيمان الناس، فهذا مثبت تاريخياً حيث أن الشعائر خدمت الدين ومبادئ الدين باعتبارها جواً لإحياء أعظم نهضة دافعت عن الدين، وهي فسحة لبث مفاهيم الدين.

ويمكن أن نرى هذه الحقيقة بعيون من كانوا يريدون تبديل إيمان الناس بالإسلام، وكيف أن

(١) سورة الصف، آية ٨.
(٢) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ١١٦.

عاشوراء هي محطة عجزهم، ومحك تجربتهم.. نرى هذه الحقيقة عبر تصريح إحدى العاملات في مجال تنصير المسلمين في البحرين..

شريفة الأمريكانية الشابة التي قدمت إلى البحرين من أمريكا ضمن بعثة الإرسالية الأمريكية في البحرين، مع كثير من مثيلاتها، قدمت في عام ١٩٢٢ ميلادية، وكانت مهمتها مع صاحباتها هو العمل على تبديل دين المسلمين في البحرين إلى المسيحية، وكانوا يقومون بهذا العمل تحت غطاء العمل الإنساني في مستشفى الإرسالية الأمريكية، وهذا هو ما قالته في مذكراتها التي طبعت في العام ١٩٨٩م، تذكر شريفة وأسمها الحقيقي هو (كورنيلا)، أنها تقوم بعمل مستميت من أجل تنصير المسلمين في البحرين والتي كانت تصف الناس بأنهم طيبون وبسطاء جداً في تلك الفترة الزمنية، إلا أن مهمتهم كمبشرين لم تكن سهلة في مجتمع البحرين، وقد عبّرت عن تلك الصعوبة عندما جاء شهر رمضان المبارك ورأت الأجواء فيه كيف تتبدّل، فهم يصومون نهاراً ويفطرون ليلاً، ويتغير نظام الحياة عندهم في ظل أجواء هي من صناعة الدين.

إلا أن المناسبة الأعظم والتحدي الأكبر الذي

واجهـوه، وقد ألغى كل احتـمالات التأثير في تبديل دين الناس، ووصل إحسسـها إلى درجة إسـتحالة التأثير هو عندما هلّ هلال محرم الحرام، الذي يقلب أجواء الناس، كدليـل عـلى ارتباطهم بالإمـام الحسـين عليه السلام، فتنتشر الشعائر بمختلف أنواعها في كل أرجاء البحرين، وتذكر شريفـة الأمريكانيـة في مذكراتها هذه العبـارة: «وكانت هناك مناسـبة أخرى كنا نشـعر نحن المبشرين المسيحيين بـأن مهمتنا مسـتحيلة، وهي يوم عاشـوراء، حيث كان أملنا يصل إلى الصفر أو تحت الصفر أيضاً..».

أقول هذه عاشوراء وشعائرها، وهذا تأثيرها ليس على الذين يقيمونها فحسب، بل على من يتربصون بالدين، فما شـعاراتهم واسـتهزاءهم من هذه الشـعائر، إلا لكي تسهل عليهم المهمة وتنفتح لهم الأبواب نحو محو الدين، وهي غاية مستحيلة بنص القرآن وتأكيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

الإمام الحسين عليه السلام ثقافة ربّانية

بكل ثقة واطمئنان نقول إن الحسين عليه السلام ثقافة، بل هو ثقافة ربانية متصلة بالله عز وجل، ولهذا يعتبر الخوض في الثقافة الحسينية من أهم الأمور وأولاها، لأنها حسينية أولاً، ولأنها ثقافة ثانياً، فلماذا يحتل الوعي بالثقافة الحسينية هذا الحجم من الأهمية؟.

للإجابة عن هذا التساؤل نقول: عندما نطلق على شيء ما مسمّى الثقافة، فهذا يعني أنه يحمل المكونات التي تتكوّن منها الثقافة بمفهومها العام، والتي تعني فيما تعني أنها منهاج سلوك، وطريقة تفكير، وآداب معيشة، وهي تقوم على أساس مجموعة من المبادئ والقيم، تقوم بدورها برسم المسار العام لكل بعد من أبعاد الحياة، ولا شك أن من لا يمتلك ثقافة ما تؤسس لحركته في الحياة، فهو بعيد عن فطرة الإنسان، إذ لا يمكن تصوّر قوم بلا منهاج وبلا مبادئ معينة، إلا في الأقوام التي تعيش حالة

الفـوضى أو الخارجين عن حدود الزمن الإنسـاني، إذن فالثقافـة هي التي تعطي الإنسـان البصيرة ليمشي بها في الناس والحياة، وأي أمر يحمل صفة الثقافة فهو يعطي ما تعطي، ويتكون مما تتكونّ.

وعندما نقول الثقافة الحسـينية فهي منتسبة للإمام الحسـين بن علي عليه السلام، وهذه النسـبة تضيـف إليها لوناً خاصـاً ومفهومـاً متميزاً، لأنهـا تلقي الضـوء على حياة الإمام الحسـين عليه السلام وحركته ومسيرته التي هي عبارة عـن أسـس للمسـير ومنهـاج للتفكـير، ولم يـأتِ هـذا اعتباطـاً، بـل جاء من أسـاس وجوب الاقتداء بالنسـبة للإنسان المسلم بالإمام المعصوم، لأنه قدّوة المؤمنين، كما قال الإمام الحسين عليه السلام نفسه، «**وَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ**»[1].

وتأسيسـاً عـلى ذلك فـإن المطالبة بـأن يكون المنبر حسينياً، لا يعني أن يكون محلاً للسرد التاريخي فحسب، وإنما يعني أن يعبر المنبر عن الثقافة الحسـينية، التي تحدد منهاج السـلوك، وتبلور طريقـة التفكير، وتحدد مواقف الإنسـان، وترسم آداب معيشـته وأخلاقيات تعامله مع الآخرين، وفقاً للقيم والمبادئ الحسينية الربانية.

(١) صحيفة الحسين عليه السلام، جمع الشيخ جواد القيومي، ص٢٧٤.

الإمام الحسين عليه السلام
في وجدان المجتمع البحراني والمناطق المجاورة

لعل أكبر أثر ظاهر في المجتمع الشيعي البحراني والمناطق المجاورة كالمنطقة الشرقية بالسعودية، أو الكويت وغيرها، من حيث الشعار والتمظهرات الموسمية والإحياءات التاريخية هو الأثر الذي يجده أي مراقب بل أي زائر للمنطقة، هي تلك المواسم المتمثل في ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام و الأيام التي يقوم بإحيائها الناس لذكراه السنوية، بل تتعداها إلى سائر أيام العام.

ولم يكن هذا التمظهر عفوياً أو مجرد تخليد لرمز تاريخي قام بعمل عظيم وحسب، وإنما هو في الأساس يثقل ميزان وعي المجتمع البحراني بنظرة عقيدية تنبثق منها كل السلوكيات الإحيائية التي تعظّم هذه الشعيرة، حيث أن الإمام الحسين في وجدان الشيعة عموماً والمجتمع البحراني تبعاً له، هو جزء منه ولا ينفك عنه،

حيث يعتبر أن الإمام الحسين عليه السلام شخصية أساسية في الدين الإسلامي، وقد استمر هذا الدين وقام ونمى بتضحيات الإمام عليه السلام وجهوده وفدائه ودمه، وهو مع ذلك الإمام المفترض الطاعة سواء تحرّك باتجاه الحرب أو باتجاه السلم، كما هو قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا**..»[1]، كما أن الإمام الحسين عليه السلام يعتبر رمز العصمة والصراط القويم الذي لا يزيغ من اتبعه عن جادة الحق، لأنه سيد شباب أهل الجنّة، كما صرّح الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بذلك كدلالة على مقام عصمته التي تؤدّي به إلى أن يكون سيد شباب أهل الجنة.

وكل الإحياءات التي نجد تمظهراتها في الواقع اليوم إنما هي منطلقة من ذلك المخزون العقيدي الثابت لدى المجتمع الشيعي في البحرين، والذي يعتبر من أهم الثوابت الشعائرية التي تنسكب فيها بعد ذلك كل مادة خيرة وكل فكرة طيبة، من خلال آلية الاحياء والتوجيه في هذه المواسم.

هنالك ثلاثة أبعاد أسّسوا عمق التمسّك بالإمام

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٩١.

الحسين وبالشعائر الحسينية، في وعي المجتمع الشيعي في البحرين والمناطق المجاورة هي:

الأول: محورية حركة الإمام الحسين وتضحياته بالنسبة لهذا للدين، و التي لولاها لما بقي للإسلام من أثر، حيث استشرى الفساد و انتشر باسم الإسلام، فما كان من الإمام إلا أن يقدّم نفسه فداء للدين لكي يبقى و تستمر التضحيات بعده، ومقولة الرسول الإعظم صلى الله عليه وآله وسلم «**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ**»[1] تعبر عن هذه الحقيقة.

الثاني: كثرة الموروث الروائي والتاريخي الذي يصرّح بعظمة الإمام الحسين و بعظمة إحياء ذكراه، على لسان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعلى لسان الخلفاء من بعده و هم الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، وكان منها: «كلنا سفن النجاة وسفينة الحسين أوسع وفي لجج البحار أسرع»، و عن الرضا عليه السلام: «**فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيَبْكِ الْبَاكُونَ فَإِنَّ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ يَحُطُّ الذُّنُوبَ الْعِظَام**»[2].

الثالث: الأثر الواقعي الذي عايشه المجتمع بمختلف قئاته جراء هذا الاحياء وهذا التمسّك، حيث

(١) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ١١٦.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٤،ص ٥٠٤.

لامسوا البركات والكرامات في أنفسهم وفي أرزاقهم ومختلف شؤون حياتهم الدنيوية، بل والأخروية كذلك، وهذه تصديقات للروايات الشريفة قد لامسها الناس.

أما إذا أردنا أن نقرأ الأثر السياسي والاجتماعي في وعي المجتمع البحراني، فإن الإمام الحسين عليه السلام وحركته يعتبران المخزون الثوري والرسالي، لذلك فإن أي حركة نهضوية أو مطلبية تتطلب التضحيات وتحمل المسؤولية تجاه الدين وتجاه المسلمين فإن أفضل محرك لها هو ذلك المخزون من الوعي الحسيني. فهذا الوعي هو الرافد الأساس للحركة والعمل في سبيل الله تعالى وهو أقوى محرك يمكن أن يرفده.

وهذا بالفعل ما حرّك المجتمع البحراني نحو المطالبة بحقوقه المسلوبة طوال تاريخه، ومن هذا الرافد استلهم حركته، فعمل العلماء على إظهار الموروث الكربلائي والفكر الرسالي لإنهاض الأمة.

بل وكان الإمام الحسين عليه السلام وذكراه الدرع الحصينة التي تحمي المجتمع من التأثيرات والمؤامرات التي تحاك ضدّة من أجل إبعاده عن ولائه لأهل البيت عليهم السلام أو لإبعاده عن دينه، وقد ذكرت هذه الحقيقة

الممرضة في الإرسالية الأمريكية عام ١٩٢٢ (كورنيلا) والتي أطلقت على نفسها اسم شريفة الأمريكانية، في مذكراتها التي نشرت في العام ١٩٨٩م، مقدار صعوبة مهمتها من أجل تنصير المسلمين في البحرين عندما شاهدت تمسك المجتمع بالشعائر الحسينية، قالت: «وكانت هناك مناسبة أخرى كنا نشعر نحن المبشرين المسيحيين بأن مهمتنا مستحيلة، وهي يوم عاشوراء. حيث كان أملنا يصل إلى الصفر أو تحت الصفر أيضاً».

وبكلمة، فإن الإمام الحسين عليه السلام في وجدان المجتمع هو شعلة نور تضيئ له دربه، و توفّر له الفيوضات الإلهية، وهو على موعد سنوي متجدّد مع ذكراه الخالدة، ليجدد فيها شخصيته.

الإمام الحسين عليه السلام والمسار السياسي المعاصر

تأخذنا الغفلة أحياناً في خضمّ الأحداث اليومية المتسارعة في عالم السياسة، ونقوم باستنهاج سبلاً بعيدة كل البعد عن قيم السماء وهدى العصمة في جانبها االسياسي، تلك القيم التي كانت كربلاء مظهرها الأكبر وصوتها الأعلى، وهذه الغفلة ربما تسوقنا إلى أن نتسوّل سبلاً معوجة نستقيها من الآخرين، أو نتأثر بهم من حيث نشعر أو لا نشعر، ونحن نمتلك معدن العلم، ونتولّى ساسة العباد.

لا ينبغي أن نتذكّر الإمام الحسين عليه السلام في حالات الرخاء، وضمن مشاعر الحزن وحسب، بل إن ذكر الإمام الحسين لابد أن يكون في كل ظرف نمر به، بما في ذلك ما يمر علينا من أحوال السياسة وتقلباتها، هذه ضرورة ينبغي الإلتفات إليها لكي لا يشملنا قول الإمام الحسين عليه السلام: « **النَّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينُ لَعِقٌ**

عَـلَى أَلْسِـنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُـهُمْ فَـإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَـلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُـونَ»[1]، فإن أصدق مصـداق للبلاء، هـو التقلبات اليومية في المسـار السـياسي المعاصر، تلك التقلبـات التي تشـكل تحديات يومية لدين الإنسـان، و لحقوق الإنسان، ولمستقبله.

مـن هنـا، نوجّـه رسـالة ذكـرى، والذكـرى تنفع المؤمنين إلى كافة المتصدّين للشأن السياسي، بأن لا ينسوا قيم كربلاء والثقافة الحسـينية، فهي مصباح الهدى وهي سفينة النجاة في كافة المجالات.

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٤،ص ٣٨٣.

(أسباب النزول) في الخطاب الحسيني

لقد نزلت آيات القرآن الكريم منجّمة بدفعات قد راعت الأحداث التي وقعت منذ بدء نزوله ولمدة ٢٣ عاماً، قد عاش تحدياتها رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فعالجت بمراهمها كل فساد ووجّهت وقوّمت كل مائل من أمور الناس، واستمرّت الآيات في تأثيرها بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحاكي قضايا الناس وستبقى إلى يوم الدين، وتلك الأحداث والوقائع ليست أسباباً حقيقية للنزول بل هي مناسبات وتطبيقات لها.

هكذا كان العطاء في الخطاب الحسيني طوال المسيرة الحسينية، عطاء لم يحدّه زمان دون آخر ولم ينحصر فيمن نزل فيهم ليكون مركوناً في زاوية التاريخ، فالإمام الحسين عليه السلام مصباح الهدى لأصحابه، وكذلك هو لآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم، وهو سفينة نجاة تنقذ كل المستضعفين في الأرض ممن عاصر الإمام، ومن لم يعاصره، فتمرّ سفينته الواسعة عبر السنين لتقلّ كل من

وآلاه إلى يـوم الدين..فمن ركبهـا نجى، من تخلّف عنها غرق وهوى.

فأهل البيت عليهم السلام عِدل القرآن وقرناء الوحي فيما يعبّرون عنه من الحق، وفيما يتصل بامتداد التأثير الزماني، «**وَلَوْ أَنَّ الْآيَةَ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ ثُمَّ مَاتَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ مَاتَتِ الْآيَةُ لَمَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ يَجْرِي أَوَّلُهُ عَلَى آخِرِهِ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ آيَةٌ يَتْلُونَهَا هُمْ مِنْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ**»[1]، كما في الرواية، وكذلك أهل البيـت عليهم السلام والإمام الحسـين عليه السلام في ثورتـه. فلو أن الخطاب الحسـيني في قوله: «هيهات منـا الذلة»، وقوله عليه السلام: «أنـا أحق من غيّر» وغيرها، قد حصرت في ذاك الزمـان، لماتت مقـولات الحسـين عليه السلام ولم يكن لقيمة (القـدوة) مـن أثر أو فائـدة في حياة المسـلمين.. فالإمام الحسـين شـمس تشرق بنورهـا على كل أفق عـلى امتداد الأزمان.

فأسـباب التنزيـل هـي المصاديـق الأولى للآيـات القرآنية، وأسباب نزول الخطاب الحسيني هي المصاديق الأولى كذلـك.. فتصبـح تطبيقاتهـا فيما يأتي مـن الزمان

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٨٩، ص١١٥.

وحوادثه تأويلات لخطابه عليه السلام، فكما قاتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على التنزيل، وقاتل الإمام علي عليه السلام على التأويل.. فإن الحسين قاتل على التنزيل في خطابه، وجاهد وغيّر الوضع الفاسد في زمانه، ثم يأتي دور كل من تبع هداه فيقاتلون على التأويل ويجاهدون كل المصاديق التي تتوالد من مفردات الظلم والفساد في الأرض.

أمّا آلية الإنطلاق وموضع بداية الشروع في تطبيق تأويل الخطاب الحسيني على واقعنا السقيم، فهي سقوط عبرتنا على مصيبته، لتنطلق منها عِبرتنا، وإصلاحنا لكل فاسد من أمور المسلمين.

كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء..

مناقشة في الشعار

لأن الثورة الحسينية ثورة قيمية تنتج القيم والمناهج لكل من يهتدي بهديها، فإن واقعنا يزخر بمقولات اقتدائية واستلهامية تعبّر عن أفهام أصحابها لطبيعة الثورة الحسينية، ومن الطبيعي أن تلك المقولات قد تتعرض للإستنتاج الصائب أو الخاطئ، إذ هي خاضعة لفهم واجتهادات من أصحابها.

ومن تلك المقولات شعار «كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء»، وأود هنا أن ألقي نظرة على هذا الشعار من حيث المحتوى ومن حيث مناسبته مع قيم كربلاء، لا من أجل الترف الفكري ولكن ذلك لسببين، أولهما أننا ينبغي أن نعي مقولاتنا وشعاراتنا وعياً واضحاً، لما تتركه من أثر في الوجدان الشعبي والمجتمعي، وهي مسؤولية تدخل في عموميات الوعي وشروطه، تحت

قاعـدة «مَا مِنْ حَرَكَةٍ إِلَّا وَ أَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَى مَعْرِفَةٍ»[١] كما قال الإمام علي عليه السلام.

والسـبب الثاني: الذي دعـى لتخصيص الحديث حول هذا الشـعار دون سـواه، هـو أنني لاحظت بعض الآراء في السـاحة ترفض هذا الشعار وتعتبره خطئاً، بل ويذهبـون إلى أنه يئد كربـلاء ويلغي خصوصيتها. وقبل مناقشـة هـذا الإدعاء لابـد أن نلفت الإنتبـاه إلى أن هذا الشـعار أخذ حيزاً واسعاً في السـاحة الإسلامية الحديثة والمعاصرة منذ نهاية السـبعينات وإلى أواخر التسـعينات مـن القرن المنصرم، خصوصاً عند الحركات الإسـلامية السياسـية والمطلبية، وهذا ما يكسبه إضافة تستدعي منّا المناقشة.

وكان ممـن اسـتعمل هـذا الشـعار في كتاباتـه هـو المرجـع الدينـي الراحل السـيد محمد الشـيرازي (قدس سره)، والمرجع المعاصر السـيد محمد تقي المدرسي (دام ظله).

فقـد قـال الإمـام الشـيرازي: «إن ثـورة الحسـين عليه السلام لم تكـن ثورة وقتية لتموت بعد زمان، وإنما كانت

(١) مستدرك الوسائل: ج١٧، ص٢٦٧.

ثـورة الحـق ضـد الباطـل، وثـورة العدالة ضـد الظلم، وثـورة الإنسـانية ضـد الوحشـية، وثـورة الهدايـة ضد الضـلال، ولذا كان مـن الضروري، امتداد هـذه الثورة مادامت الدنيا باقية، ومادام يتقابل جيشـا الحق والباطل والهداية والضلالة، وهذا هو سرّ تحريض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المسـلمين على الاحتفال بذكرى عاشـوراء طول الدهر، ومنه اتخذ المسـلمون مجالـس العزاء والحفـلات التأبينية بمختلف أشـكالها، طول الزمان، وإلى هذا يشير ما ينقل من أنه: «كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء»[1].

ورجوعاً لدعوى من رفض هذا الشـعار، نرى أن اعتـماد الرفض (حسـب ما ذكر) هو الروايـة المروية عن الإمام الحسـن عليه السلام وهو يخاطب أخاه الإمام الحسـين عليه السلام قائـلاً: «لا يـوم كيومك يا أبا عبـد الله»، واعتماداً على الروايـات العديدة التي تؤكـد شرفية أرض كربلاء وتربتها على سـائر بقاع الدنيا، فهذا اليوم يوم اسـتثنائي وهـذه الأرض هي أرض اسـتثنائية، ويأتي اسـتنكار من يرفـض ذلك الشـعار فيقول، فكيف يكـون «كل أرض كربـلاء وكل يـوم عاشـوراء»، وتحت طيّاتهـا كل ذلك الاستثناء والتميّز؟.

(١) الحسين عليه السلام أسوة، الإمام الشيرازي.

فما من شك ولا ريب في أن يوم الإمام الحسين عليه السلام ليس له شبيه، وقد خلّده التاريخ وسيخلده إلى يوم القيامة، وما من شك في أن أرض كربلاء لا تساويها أرض في طهرها وقداستها، إلا أن هذا الشعار لا يناقض تلك الحقائق، إنما يدعمها ويثبتها، بل هذا الشعار هو من أجلى مصاديق استثنائية أرض كربلاء ويوم الإمام الحسين عليه السلام.

نستخلص هذه النتيجة عندما نتوجه لمقصود الشعار وماذا يراد منه، فمقولة (كل أرض كربلاء) أصبحت قدوة لكل بقعة ولكل مكان في العالم، وكما دارت الأحداث الكربلائية من صراع الحق والباطل، فإن في كل مكان لابد أن يقف الحق في وجه الباطل، ولذلك (فكل يوم عاشوراء) لأن يوم عاشوراء أعطى من القيم والمفاهيم والمناهج لتطبّق في كل عصر إلى يومنا هذا، وها نحن نشاهد كربلاء (يومها وأرضها) كيف غذّت الحركات الإسلامية في مختلف المناطق وعبر العصور المختلفة بالروح الجهادية وروح الإصلاح من أجل الحق والحرية.

وأشير هنا إلى مقولة للمفكر الإسلامي الكبير آية الله السيد هادي المدرسي وهو أحد رواد الصحوة

الإسلامية المعاصرة، يقول في كتابه (الإمام الحسين ثورة لا تنتهي): «كل موقف وقفه الحسين في ساحة كربلاء تحوّل إلى خطة كاملة لانتفاضة كاملة.. كل ضربة سيف في يوم عاشوراء تحوّلت إلى إعصار من سيوف التمعت من هناك في وجه السلطات.. كل نقطة دم تحولت إلى فتيل في نهضة.. كل كلمة لفظها الحسين تحوّلت إلى (كلمة سر) في أكثر من انتفاضة وأكثر من ثورة) ويقول قبل ذلك) القضية أن كربلاء امتدت من تحت الأجساد الثائرة وامتدت معها ثورة الحسين وأهدافها ومقاييسها وأحداثها.. وامتدت حتى أصبحت «كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء».

أقول، لأن يوم الإمام الحسين عليه السلام أصبح مناراً وشعاعاً لكل أيام الناس فهو استثناء، ولأن أرض كربلاء أصبحت قدوة لكل أرض في العالم فهي استثناء، بالإضافة للاستثناءات والخصائص الأخرى.

فالشعار هو تعظيماً لشأن الإمام الحسين ويومه وأرض كربلاء لأنه يعبّر عن حالة الإقتداء في كل مكان وزمان، وهو ليست سرقة لخصوصيات كربلاء كما قد يعتقد البعض. وقد نناقش دليل من رفض الشعار من وجهة أخرى، أكتفي بالتلميح لها، وهي أن الحديث

الذي ورد عن الإمام الحسن عليه السلام في يوم الإمام الحسين عليه السلام ينظر لحالة عظم المصيبة والفاجعة التي ستقع على الإمام في يوم العاشر من محرم في السنة التي يقتل فيها الإمام عليه السلام، كما هو حال السياق من الرواية التي تقول بنصها: «**دَخَلَ يَوْماً إِلَى الْحَسَنِ عليه السلام فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ بَكَى فَقَالَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ قَالَ أَبْكِي لِمَا يُصْنَعُ بِكَ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ عليه السلام إِنَّ الَّذِي يُؤْتَى إِلَيَّ سَمٌّ يُدَسُّ إِلَيَّ فَأُقْتَلُ بِهِ وَ لَكِنْ لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ يَزْدَلِفُ إِلَيْكَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَجُلٍ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أُمَّةِ جَدِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وَيَنْتَحِلُونَ دِينَ الْإِسْلَامِ فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى قَتْلِكَ وَسَفْكِ دَمِكَ وَانْتِهَاكِ حُرْمَتِكَ وَسَبْيِ ذَرَارِيكَ وَنِسَائِكَ وَانْتِهَابِ ثِقْلِكَ فَعِنْدَهَا تَحِلُّ بِبَنِي أُمَيَّةَ اللَّعْنَةُ وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ رَمَاداً وَدَماً وَيَبْكِي عَلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ وَالْحِيتَانِ فِي الْبِحَارِ**»[1].

والشعار المذكور إنما ينظر لجانب الثورة التي كانت قمتها حادثة كربلاء التي تمثل صراع الحق والباطل، فهنا اختلاف في الموضوعات فلا يصح الاستدلال بمختلف الموضوع.

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢١٨.

وفي الختام نؤكد على أن شعار (كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء) لهو شعار يخلد كربلاء وكرّس ثقافة عاشوراء، ويبسط تأثيرهما إلى كل العالم وعبر كل العصور.

وليس له علاقة بخصوصية أرض كربلاء في قداستها وفضلها ولا في عظم يوم عاشوراء الذي لا يختلف عليه مواليان، وإلا فيمكن عبر ذلك المنهج أن يأتي من يرفض إحياء عاشوراء في سائر البلاد، باعتبارها (يوم) لا مثيل له، فمن هنا يتضح أن ذلك الشعار لا ينتقص من خصوصية كربلاء، بل هو تطبيق للإقتداء بالإمام الحسين عليه السلام الذي قال: «**وَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ**»[1].

(١) صحيفة الحسين عليه السلام، جمع الشيخ جواد القيومي، ص٢٧٤.

في إعلام كربلاء

إننا نجد أنفسنا نفكر ببساطة عندما يكون مبلغ مطلبنا وأمنياتنا أن نستخدم التقنيات الجديدة كخدمة إعلامية لمبادئ كربلاء وقيمها، فنرضى عن أنفسنا إذا استخدمنا النقل المباشر عبر شبكة الإنترنت بالشكل المحدود أو عندما تتبنّى قناة أرضية ساعة من الزمن التغطية الإعلامية لفعاليات عاشوراء، أو عندما تخصص إحدى الصحف صفحة واحدة لتكتب عن الإمام الحسين وثورته.

لعل ما أودى بنا إلى أن نستأنس بهذا القدر من استخدام الإعلام الحديث لقضية عاشوراء هو الحال الذي عليه أغلب أتباع أهل البيت عليهم السلام من اضطهاد وسلب للحقوق، لكن ليس ذلك كافياً كمبرر ولا يمكن أن يكون مسكّناً لهواجس إلا فاقدي الطموح، بينما ينبغي أن نطير بطموحنا إلى أفق رحب جداً، كما يطير الطائر بجناحيه.

ولابد أن نتهم أنفسنا أيضاً ولا نوقع اللوم بكامل ثقله على الظروف المحيطة، علينا أن نوجّه النقد لهممنا، لطريقة تفكيرنا، لتفككنا الذي يلقي بظلاله على كافة مشاريعنا، ومنها الكربلائية.

ولكي نتخطّى تلك البساطة، علينا أن نفكّر بطريقة تناسب متطلبات الواقع في السياسة الإعلامية لقضية الإمام الحسين عليه السلام، فإن في القضية الحسينية امتيازاً ذاتياً وبعداً إلهياً، ذلك الامتياز هو عمق القضية و أصالتها وحقّانيتها ومبدئيتها ويميزها لون قيمها، والبعد الإلهي هو أنها قضية عالمية ليست لفئة معينة بل جاءت للإنسان ولرفع كرامته وتمكين سيادة الحق في الأرض من خلال جهود الإنسان ونشاطاته. فلابد أن يكون الطموح بقدر القضية التي نحملها من جهة، وبقدر التحديات التي يفرضها الواقع من جهة أخرى.

إننا نجد تلك القضايا التي ترتبط بمصالح دولة خاصة أو بمصالح مصنع من المصانع أو بمتجر ما، كيف يخطط أصحابها لها، لكي تغزوا العالم بأسره من خلال الإعلام بكافة وسائله، وذلك ليس لأن الوسائل الإعلامية متوفرة فحسب، وإنما بسبب السياسة الإعلامية الطموحة التي تريد أن تدخل خبراً معينا

أو فكرة أو سلعة ما، في كل بيت، فتنطلق تلك الدمية من أمريكا لتنتشر لدى أطفال كل العالم بما فيهم أطفال المسلمين، فمن منا لم يعرف (وال ديزني) مثلاً؟، فإن لم يتعامل معها، فإنه قد سمع بها.. وأمثال هذه كثيرة جداً.

فقضية الإمام الحسين عليه السلام تحتاج منّا أن نفكّر في نشرها عالمياً عبر خطط بهذا المستوى، و لا أعتقد أن هناك أحداً سيصغي لقضية كربلاء لن يداخله التأثر والإعجاب بمبادئها وقيمها التي خطتها وتريد أن تخطها في الوجود الإنساني ككل، فضلاً عن الاقتناع والإتباع.

فلا يكفي أن نصل إلى وسائل الإعلام بالقضية الحسينية، وإنما لابد أن نوصلها لكافة الناس، لأن الإعلام وسيلة لتكون بين أيدي الناس، فأعداد الصحف والمجلات لا حصر لها، فكيف نرضى بصفحة واحدة في صحيفة محدودة التداول؟.. والقنوات القضائية تغزوا الفضاء والأرض، فكيف نقنع ببث ساعة هنا وساعة هناك على قناة أرضية محدودة المشاهدة ؟، أو حتى قناة أو قناتين فضائيتين، وكيف نرضى عن بث مباشر على شبكة الإنترنت لا يتحمل إلا عدد محدود في المشاهدة؟ والإنترنت شبكة عالمية عنكبوتية، تنشر خيوطها في

مساحة واسعة من المستخدمين.

فعندما ندرس السياسة الإعلامية التي اتبعتها السيدة زينب عليها السلام لإيصال أحداث كربلاء ورسالتها في الناس، وهي إمرأة وحيدة في زمن لا تتوفر فيه أي وسيلة إعلامية، فمبلغ الفرد إيصال مقدار صدى صوته للناس، ولكنها تغلبت على ظروف تلك الحياة وأوصلت رسالة الإمام الحسين عليه السلام لكل بقعة حطّت بها عبر مسيرة السبي، ووضعت في كل بقعة علامة تدل على ذلك، سواء في العراق الذي أبلغت أسواقه، أوالقصر الذي جلجلت في أركانه بصوتها الشجاع، أوالقرى والمدن التي مروا بها مثل حلب في سوريا والمدينة المنورة، بل ووصلت إلى مصر، فكان لها أنصار وكان لها متعاطفون.

إذاً الخطوة التالية في التفكير في إعلاميات القضية الحسينية هي أن نوصلها إلى العالم كافة ولو سماعاً.. فهي بداية لتأخذ مداها العالمي في التأثير، كما أراد لها الله عز وجل والإمام الحسين عليه السلام أن تكون هداية وتحرر للبشرية جمعاء.

إلى الفضائيات الشيعية..
نحو إعلام رسالي ولائي متكامل

أجزم بأن أكبر المظلومين من حيث التغطية الإعلامية هو الإمام الحسين عليه السلام وكل الفعاليات و المفاهيم المرتبطة به، على مر التاريخ بدءاً بالتظليل الإعلامي الذي مارسه بنو أمية في حق أبيه الإمام علي عليه السلام ، ومروراً بتكميمهم للأفواه في عهد معاوية ويزيد، ومروراً بالحقبة العباسية القاسية على أهل البيت عليهم السلام عموماً، وإلى الأزمنة التي سبقتنا والتي نعيشها الآن، فلم يحض الأمام الحسين عليه السلام بإعلام حر نزيه يعرض الحسين ومسيرته وتفاعلاتها في الحياة، بصورة حقيقية معبّرة عن عمق ما يعبر عنه الحدث.

لقد كانت الأداة الإعلامية الوحيدة هي المنبر الحسيني الذي حافظ بنسبة من النسب على الثقافة الحسينية في عقول المجتمعات الشيعية الموالية، والمنابر لم تغط مساحة واسعة من المجتمع إلا مع ظهور التسجيل

المسموع ثم المرئي الخاص، وهذا لا يحقق انتشاراً كبيراً على مستوى الآخر، لأنه مرهون بالقصد وباهتمام الشخص نفسه بهذه المادة، بينما واقع الفضائيات العابر فوق القارات يتيح المجال بشكل واسع لكي يطلع الآخر على محتوياتها.

وها نحن نقف أمام معطيات جديدة للإعلام الإسلامي والحسيني، بإنبثاق عدّة فضائيات تنتمي من الناحية العقيدية للإمام الحسين عليه السلام، وهي مدعوّة بحس الواجب لأن تطل على العالم بإعلام حقيقي معبّر بصدق عن المسيرة الحسينية بأبعادها الحضارية المختلفة، لكي تكون تلك الحقائق ضمن الخيارات المتاحة للناس في بيوتهم وفي غرف جلوسهم ونومهم، من دون عناء البحث، وبهذا يكون العالم أمام تصاعد لبلوغ الحجة في معرفة الإمام الحسين عليه السلام ونهجه.

فما الذي ينبغي أن تعطيه الفضائيات الشيعية خلال موسم إحياء ذكرى كربلاء الحسين عليه السلام، بل وفي سائر الأيام، مما لم نره في الفضائيات الأخرى؟

في تصوّري هنالك إشارات ثلاث هي أهم ما ينبغي أن يظهّرها إلاعلام في راهننا، وهي كالتالي:

١ - هذا هو الحسين عليه السلام:

إن سرّ القوّة في الثقافة الحسينية هي شخصية الإمام الحسين عليه السلام، بما تمتلك من مصداقية عظمى عند كافة المسلمين بمختلف مذاهبهم، وهذا ما يخشى إظهاره الإعلام المظلل، فيذهب بعيداً عن شخصية الإمام الحسين، ويسلّط الضوء على شخصيات تاريخية سيئة الصيت مارست الظلم والتشويه للإسلام، فتحاول تلميعها على حساب الشخصيات الحقيقية، هروباً مما قد يترتب على ذلك من أثر الإتباع، وخوفاً من تكاثر المنتمين للإمام عليه السلام.

فشخصية الإمام الحسين عليه السلام التي أظهرها الرسول الإعظم لكافة المسلمين في الكثير من المناسبات، وقال فيه الكثير من المقولات، هي من أهم المسائل التي ينبغي أن يسلط عليها الإعلام الشيعي الضوء. لتصل الرسالة واضحة للناس جميعاً، بأن الإمام الحسين عليه السلام الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه سيد شباب أهل الجنة و أنه إمام قام أو قعد، وأنه من الرسول والرسول منه، هو ذاته الذي قام بدور الإصلاح العظيم للمسيرة الإسلامية، وقدّم دمه وأهله وأصحابه قرباناً لرأب

الصدع الذي أحدثته الطغمة الأموية الفاسدة، وهو المثال والقدوة الذي ينبغي أن يتّبع، وقد عرّف الإمام بنفسه قائلاً: « **إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَبِنَا فَتَحَ اللهُ وَبِنَا خَتَمَ اللهُ...** »[1]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[2].

٢- هذه هي الثقافة الحسينية:

لقد خط الإمام الحسين عليه السلام نهجاً واضحاً وثقافة أصيلة، يمكن للناس أن يقتفوا أثرها، تلك الثقافة القائمة على بث روح المسؤولية الدينية تجاه الدين والمجتمع، وتأصيل قيمة الإصلاح للشأن العام، ورفض الظلم والجور بكافة أشكاله.

لقد كان دأب السلطات أن تمنع الحقائق كاملة، وتكتفي بنصفها الذي لا يضر مصالحها، لأن إظهار الحقيقة كاملة من شأنه أن يعمل العقول لتميّز الصواب، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٤.
(٢) سورة الشورى، آية ٢٣.

﴿ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]، فإن استماع الحقيقة كاملة يؤدّي إلى اجتناب الطاغوت والكفر به، وهذا ما لا يريده كل طواغيت الدنيا، وسياسة منع النصف الآخر من الحقيقة هي ما سعى إليها بنو أمية كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ أَطْلَقُوا لِلنَّاسِ تَعْلِيمَ الْإِيمَانِ وَلَمْ يُطْلِقُوا تَعْلِيمَ الشِّرْكِ لِكَيْ إِذَا حَمَلُوهُمْ عَلَيْهِ لَمْ يَعْرِفُوهُ**»[2].

إن أهمية هذه الرسالة الإعلامية هي لكي يعرف العالم أن ذلك الإمام الذي تحدّث عنه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وزكّاه، والذي طهّره الله من الرجس بنص القرآن الكريم، يعبّر عن ثقافة ترفض الإستعباد، وترفض الظلم، وترفض الفساد في الأرض بجميع أشكاله، وتدعو إلى إصلاح كل ذلك ومقاومته وعدم تبريره، لكي تكون المسيرة في صالح المجتمعات لا في صالح حفنة من الحاكمين على حساب العباد. عندئذ تأخذ هذه الثقافة مداها في المجتمعات بتأثيراتها الإيجابية.

---

(١) سورة الزمر، آية ١٧و١٨.
(٢) أصول الكافي: ج٢، ص٤١٥.

٣- هذه هي شيعة الحسين عليه السلام:

كما أن مصدر التأثير وهو الإمام عليه السلام، وأن المؤثّر وهي الثقافة الحسينية، قد لاقا نصيبهما من التجاهل الإعلامي، كذلك الأثر والمتأثر وهم الذين حملوا الولاء للإمام ولواء الثقافة التي أرساها، أيضاً لاقو ذات التجاهل الإعلامي، وكان من ضمنها واقع الشيعة وتفاعلات الحدث الحسيني في كل عام، و الإستلهامات التي انعكست على الواقع من تلك الثقافة، فهذه الآثار والتفاعلات بأمس الحاجة إلى أن يبصرها الناس ويعوها جيّداً، فذلك الحدث التاريخي مازال مدوياً عبر الزمن وما زالت حرارته مشتعلة في قلوب المحبين، كما هي نبوءة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: «**إِنَّ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ حَرَارَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَبْرُدُ أَبَداً**»[1].

لا يختلف اثنان على أن الفضائيات العربية التابعة الشهيرة المتداولة تقوم متعمدةً بتغييب تفاعلات احياء المراسيم الحسينية في كل عام، وذلك عندما نرى أن تلك الفضائيات تهرول وراء أحداث ومناسبات صغيرة وتافهة في أدنى الأرض، لتنقلها عبر شاشاتها، وفي ذات الوقت

(١) مستدرك الوسائل: ج١٠، ص٣١٨.

لا تعير اهتماماً للملايين الذين يحيون مناسبة عاشوراء في كل عام، إلا أن الحدث فرض نفسه وشاهد العالم تلك الملايين المتموّجة والذائبة في حب الحسين عليه السلام، فهذا جانب لطالما أخفي عن الناس بجميع تفاصيله كالمنبر الحسيني والموكب والمسرح والأدب والأعمال الخيرية والتمحور حول الثقافة الحسينية ليكون الإنسان في موعد مع استلهام الروح الحسينية والثقافة الحسينية في موسم مكثّف من كل عام، واليوم حان الوقت لكي يطلع العالم على تلك التفاصيل بكل إيجابياتها، وبتفسير أصحاب الشأن لا عبر تفسيرات المغرضين الذين يحمّلون المناسبة محامل مهترئة لا تتناسب وعظمة هذه المناسبة.

فالآن رأى الناس الجموع والملايين الغفيرة التي تبهر الأنظار، وقد جاءت راجلة أو راكبة من أقصى الأرض وأدناها، لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فعلينا أن نبرز تلك الأحداث ونظهرها للناس كافة، ليعلوا أي ارتباط بالحسين عليه السلام وأي تعلق تتعلق به شيعته ومحبيه.

فهذه إشارات ثلاث، ينبغي أن تضعها الفضائيات الشيعية المتنامية في حسبانها، لكي لا يأخذ هذا الدور من لا يجيد تقديمه، فتقديمها بحلّة لائقاً وواضحة

ومتكاملة، من شأنه أن يلقي الحجة، ويعطي الأثر، ويتم المسؤولية.

النقد غير المبرر للفضائيات الدينية

بما أننا بصدد الحديث عن الفضائيات الشيعية وما ينبغي أن تقدمه، نود أن نلقي الضوء على ما تعرضت له تلك القنوات من نقد لاذع من جهات شيعية، فقد أثار استغرابنا أن يقول قائل من الذين يحسبون من أصحاب الشأن، أن الفضائيات الشيعية (ضرها أكبر من نفعها)، وهو بهذه المقولة يعرض نفسه للمسؤولية العظمى أمام نفسه وأمام المجتمع وقبل ذلك أمام الله عز وجل، فكيف يكون من يوصل صوت الإمام الحسين عليه السلام ولو بالبرامج العادية، ولو بالنعي وبأصوات الروايد، كيف يكون ذلك ضره أكبر من نفعه؟!

يمكننا أن نوجه نقدا للفضائيات الدينية بشكل عام، بقصد أن تسير في طريق التطوير، مع شكر الجهود المبذولة، وتقدير العناء الذي يتحمله العاملون، إلا أننا نوصفها بذلك التوصيف الذي يجعلها مع الفضائيات الهابطة في حد واحد وفي حكم واحد، فهذا اجحاف بحق العاملين، ولا أظن إلا أن تكون تلك التوصيفات

خارجة من فم مليئ بالحسد، ولا ينبغي ان تمر مثل هذه التوصيفات مرور الكرام، فلابد من الذين يستمعون ذلك وهم يحفون بمنبر هذا القائل، أن يطالبونه بالأسس التي أسس عليها هذا التوصيف، وكيف له أن يظلم تلك الجهود التي أثّرت بشكل لا يقبل الريب في المجتمعات الأخرى، وعرفتهم بأهل البيت عليهم السلام، يمكننا أن نوجه نقدنا لبعض البرامج أو بعض الأساليب المتبعة، مع توجيهها وإرادة الخير لها، أما أن يقوم البعض بالهجوم غير المبرر، فهذا أمر غريب، يرجعنا إلى التساؤل في مدى التزام أولئك بصفة العدل والإنصاف.

القيمة الزينبية

لقد فصلت السيدة زينب عليها السلام بين الجدل القائم حول ما إذا كان للمرأة الحق في المشاركة في العمل الإسلامي، وخوض ساحة العطاء، أم أنه يلزم عليها الانكفاء في البيت، وحصر دورها في التربية فقط، حسمت عليها السلام الخلاف، وانتصرت لحق المرأة في خوض ساحة العمل والعطاء، وذلك عندما خاضت هي ساحة المعركة مع أخيها الحسين، وباشرت الانتصار للحسين عليه السلام بصوتها المدوّي، الذي وجهته نحو عقول الناس آنذاك، بما فيه من معاني الإعلام، وإصلاح المفاهيم، والنقد الاجتماعي، وتبليغ الرسالة، والدعوة إلى الإمامة..

وبانتهاجها عليها السلام لهذا النهج في العمل النسوي، أعطت بعداً نوعياً في مجال عمل المرأة، وهو إمكانها التوجه بعطائها لمجالات عديدة، في الإعلام والثقافة والاجتماع والسياسة.. فإن الله تعالى يقول في كتابه

الكريـم: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾[1]. والبعـد الذي يدفع بعطاء العقيلة زينب عليها السلام نحو قمة الامتثال الإلهي، وهي الممتثلة لله دومـاً، أنها حافظت على عفافها وارتفعت بـه نحو تحقيـق أهـداف الثـورة الحسـينية التـي بلغتها إلى الأجيـال، ووصـل صداهـا إلى آفاقنا اليـوم. فنجحت أيما نجـاح في أداء رسـالتها ودورهـا الـذي ارتادتـه، وكللتـه بحفاظهـا على إيمانها، عندما ضربت أروع الأمثلة في معاني العفـة والحجاب والحفاظ على دورها الأسري و البيتي كما يحدثنا التاريخ. وبهذه المسـيرة المشرقـة لهذه المرأة العظيمة، حفرت في مصحف القيم، قيمة جديدة، اسمها (زينب).

(١) سورة آل عمرن، آية ١٩٥.

السيدة زينب عليها السلام

الكلمة الحضارية للمرأة المعاصرة

إن من ينكر السياسات الغربية في إغراء وإغواء المجتمعات الإسلامية بقصد الهيمنة والسيطرة، سيناقض الواقع الصارخ المعبّر عن ذلك، فإذا صعب على إدراكه ملاحظة كشف سياسات الإغواء المختصة بالرجل، فإن ما يتجه نحو المرأة من خطط يعتبر من أوضح الواضحات.

تجهد الكثير من الجهات نفسها من أجل توهين العزم الإسلامي وإبعاد الروح الدينية المحمدية والعلوية والحسينية والزينبية عن المجتمع لكي تنفرد بالإنسان خالياً من كل درع ليدخل الجبهة بلا سلاح.. فالأموال الطائلة تنفق من أجل إبراز المرأة من المنظور الغربي، تلك المرأة السافرة التي تكشف من جسمها أكثر مما تستر، يبرزونها بصورة تتسنّم فيها طرق المجد وتؤدّي أدواراً فاعلة في المجتمع للإيحاء للناس بأنها المرأة المثالية

والقدوة التي يجب على النساء أن تحدوا حدوها.. كما أن هنالك شقّاً آخر من سياسة الإغواء للمرأة وهو إبراز الصورة المخلة واستخدامها كسلعة للإغراء، فالسياسة الأولى تعتمد الإبهار في الإنجاز، والثانية تعتمد الإغراق في الهوى.

في هذا الظرف المعاصر ليس للمرأة المسلمة إلا البحث عن الكلمة الحضارية المعبرة عن الإشراق الحقيقي والإنجاز المؤثّر، الذي يعبّر عن الصورة الناصعة للإسلام، ومن أبرز ما يلوح في الأفق هي شخصية السيدة زينب عليها السلام، التي تقدّم لنا المفاهيم الإسلامية في قالب نسائي فاعل، دون أن يدنّس ذلك الفعل من عفافها، بل ترقى بسببه أرقى الدرجات.

إن السيدة زينب ضربت أعلى الأمثلة في مختلف ميادين العمل النسوي، سواء في العمل الثقافي أو الاجتماعي أو السياسي أو الإعلامي، فهي العالمة غير المعلّمة، تبث علمها وعلم أبيها وأخيها في الناس، بعقد مجالس علمية وتفسيرية.. وهي التي تحيط برعايتها الفقراء لتحفظ توازن المجتمع، وهي التي تحمل الراية ضد الطغيان والجور، وتعالج المفاهيم المغلوطة عند السياسيين، فهي الصوت الذي أوصل الثورة الحسينية

للعـالم بكل صدق.. تؤدّي كل ذلـك الإنجاز الحضاري المتنـوّع وهـي محافظـة عـلى عفافهـا وملتزمـة بحجابها، فالسـيدة زينب عليها السلام أبلغ كلمة يمكـن أن تقرأها المرأة لدحض المزاعم الباطلة حول الحجاب الإسلامي.

حوارات

المجالس الحسينية النسائية
بين العاطفة والعقلانية[١]

السؤال الأول: يرى البعض أن المجلس الحسيني النسائي متخلف نسبياً، لكونه مغرق في العاطفة بعيد عن التعقل، زاهد في استخدام الفنون والوسائل الحديثة.. فما هو رأيكم؟.

قد لا يكون التوصيف بأن المجالس الحسينية النسائية بعيدة عن التعقل دقيقاً لكونها مغرقة بالبعد العاطفي، فليست العاطفة ضد التعقل بشكل مطلق، بل قد تكون نتيجة من نتائج العقل، كما هو الحال في مراسم العزاء على الإمام الحسين عليه السلام، فالحزن والبكاء مطلوبان عقلاً، لكونها يمثلان المواساة لأهل البيت، ولكونها يوجبان الأجر والثواب الكبير كما في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام.. ولعل التعبير

(١) حوار أجراه علي الصباغ لصحيفة الحسين عليه السلام العاشورائية، جمعية أهل البيت عليهم السلام بالبحرين- ١٤٢٤هـ.

الأدق هـو أن نقر بأن للمجالس الحسـينية بعدان، البعد العاطفي، والبعد الموضوعـي الذي يمثل جانب المعرفة والإقتـداء، وفي المجالس النسـائية نجد التركيز كبير على الجانـب العاطفـي، وهنالـك إغفـال وتهـاون للجانـب الموضوعـي والمعـرفي والـذي ينبغـي الإلتفافـت إليـه، خصوصـاً أن فئة الفتيـات يحتجـن إلى التوجيه في غمرة التأثـيرات الغربية والعمل عـلى توجيه عقلياتهن في اتجاه اتهـام الدين والإنبهار بالواقع الغربي، فالحاجة أصبحت ماسـة للإهتمام الموضوعي والمعرفي في المجالس الحسينية النسائية.

وبخصوص توظيف الأعمال الفنية والتقنية الحيدثة، نأمل كذلك أن يكون التوجه لها جاداً لكونها تؤدّي الهدف بشكل مؤثر ليخدم الثقافة الحسينية.

***

السؤال الثاني: ما هي الأفكار والآراء والرؤى لتطوير المنبر الحسيني النسائي؟.

لقـد لاقـت المجالس النسـائية في الآونـة الأخيرة تطـوراً ملحوظاً في جانب الإهتـمام بالجانب الموضوعي

والتوجيهـي، إلا أن ذلك لم يف بالمطلـوب، نظراً لكثرة المجالس التي تحيى فيها ذكرى عاشـوراء، كما أن هنالك شـح في عدد القادرات على العطاء في هذا الجانب نسـبة لمتطلبـات الواقـع، لـذى فالإقتراحـات التـي يمكن أن نذكرها في هذا الصدد، هي الإهتمام بإعداد كوادر علمية نسائية، والإهتمام بتعليم الخطابة وفنونها لجيل الشابات، كذلك ينبغي أن تشيع الحسـينيات الخاصة بالنساء ذات البناء المستقل، فالكثير من الجالس تعقد في بيوت خاصة ممـا يقلل فرص التعاطـي الإداري، والتفاعل العملي من جانب الأخريات.

وينبغي على الجميع وعلى رأسهم العلماء أن يعززوا هذا التوجه، لتستمر إحياء المناسبة بصورتها الكاملة على المسـتوى الرجـالي والنسـائي في خط متواز، ونسـأل الله العلي القدير التوفيق لذلك إنه سميع مجيب.

المنبر الحسيني وأساليب التطوير[١]

السؤال الأول: ما هو التقييم الواقعي حول المنبر الحسيني في البحرين من حيث التعاطي مع الواقع المجتمعي؟.

عندما نلقي نظرة تقيمية لواقع المنبر الحسيني الذي يكثّف جهوده على مدى عشرة أيام وفي ثلاثة أوقات من اليوم، فإن ذلك التقييم سيختلف من واقع لآخر ففي بعض المناطق يمكننا أن نعطي ذلك الدور درجة الامتياز، خصوصاً في أداء بعض الخطباء المتميزين، وعندما ننظر للمنبر الحسيني في البحرين فإننا لابد أن نلاحظ عدة جهات لكي يكون التقييم دقيقاً ومنصفاً، تلك الجهات تنطلق من الدور المفترض للمنبر والذي يمكن أن يؤديه من رسالة على المستوى المجتمعي، وتلك الرسالة مرتبطة بشكل مباشر بالقضية الحسينية.

(١) تحقيق في صحيفة الأيام البحرينية، العدد ٥١١٤، محرم ١٤٢٤هـ، أجراه: آسيا أحمد.

من تلك الأدوار هو جعل الوجدان الشعبي مرتبطاً ومتفاعلاً مع القضية الحسينية في جانب المأساة، هذا الدور الذي يجعل حرارة القضية بكل قيمها مشتعلة، لتمهد للإرتباطات الأخرى كمدخل لأبعادها المختلفة، كما أن لهذا الجانب الثواب الكبير للفرد نفسه، حيث أنه يواسي أصحاب المأساة في كل عام وهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وقد ورد في الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام أن للبكاء على الإمام الحسين عليه السلام الثواب الكبير.

التقييم في جانب المأساة نراه يصل إلى مستوى الامتياز في الأعم الأغلب، حيث أن الأدوات التي يتطلبها لا تحتاج إلى كثير جهد، سوى بعض المؤثرات الفنية والتصوير الأدبي.

أما إذا نظرنا إلى رسالة المنبر الحسيني في جانبه التوعوي والتثقيفي بالقضية الحسينية وبأهدافها وبمنطلقاتها التي تشكل الإسلام في عمقه، فهذا الدور متراجع، لأننا لا نلاحظ بحوثاً جديدة تقدّم في هذا الجانب، إلا في حالات نادرة، وتزداد الموضوعات ندرة فيما يمكن أن يؤديه المنبر من دور على مستوى الواقع، وبالمتغيرات الخارجية التي تمر على المجتمع.

هذا الجانب لا شـك أنه متراجع ولعل أهم سبب هـو أن هـذا الدور يحتـاج من الخطيـب إلى قـدرة ثقافية وعلمية تسـتوعب الحاجة، وتتماشى مع المستوى المعرفي للمجتمع، ليتمكن من إضافة مادة جديدة ومتناسبة.

والمنبر الحسيني يعتبر ثروة هائلة وأمانة على الخطباء أن يتحملوها ويستفيدوا منها بأكبر قدر ممكن.

***

السؤال الثاني: ماهي الرؤية التي تطوّر أساليب المنبر الحسيني ليكون أكثر قدرة على التعايش مع معطيات التطوّر التقني من حيث إدخال الفيديو والكبيوتر؟.

بخصـوص علاقة المنبر الحسـيني بالتطـوّر التقني يمكن أن نتصوّرها في حدود النقل، لتصل المادة الملقاة إلى أبعد مدى ممكن، وهذا حاصل في كثير الحسينيات حيث تنقل بشـكل مباشر المحاضرات على الإنترنت.. إلا أننا يمكن أن نتصوّر دوراً أكبر من ذلك لبرامج الحسـينيات وهـي المفهوم الأوسـع من المنبر الحسـيني الذي ينحصر في أداء الخطيب، أما الحسينيات فإنها مؤسسة تقوم بعدّة فعاليات خلال موسـم عاشـوراء، هنـا يمكن أن تدخل

التقنية لتعبّر عن القضية الحسينية بأشكال مختلفة، على هيئة برامج كبيوترية، والأداء التمثيلي والمسرحي، وهذا بدأ به البعض، ونأمل أن يأخذ مداه في النمو.

***

السؤال الثالث: ماهو مدى الربط بين القضية الحسينية والواقع السياسي والاجتماعي المعاش؟.

لاشك أن انطلاق القضية الحسينية كان لإصلاح واقع فاسد كان قائماً، وهي لم تحصر نفسها في فترة تاريخية محدودة، لتكون كأي واقعة من وقائع التاريخ، بل إنما ما تمتاز به القضية الحسينية أنها انطلقت لإصلاح الواقع على مدى كافة العصور، باعتبار من قام بها هو إمام معصوم وتحركه يمثّل منهجاً متكاملاً للأجيال التي تقتدي به.

من هذه العقيدة فإن الواقع المجتمعي الذي يوالي الإمام الحسين عليه السلام يرتبط في جميع تحركاته الحياتية والمطلبية والسياسية والاجتماعية بهذه القضية، ويستمد منها مفاهيمه للتحرّك نحو حقوقه مثلاً، ويستمد منها ضرورة البحث عن العدالة والسعي لتحقيقها، ويرفض

كافة أشكال الظلم والتمييز، هذا ما قام من أجله الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما يحاول أن يطبّقه موالُ الإمام عليه السلام في حياتهم فمن الطبيعي أن تؤثّر هذه القضية المباركة وتكون دافعاً ومنطلقاً للحركة المجتمعية التي تعيش الولاء للحسين عليه السلام.

حول الحسينيات بين الواقع والطموح[١]

السؤال الأول: هل الحسينيات تؤدي دورها الصحيح وتفي بغرضها المطلوب؟.

لكي نجيب على هذا التساؤل بشكل دقيق، نحتاج إلى تحديد أهم الأدوار التي ينبغي أن تؤديها الحسينيات في الواقع، وعلى أساس ذلك التحديد، يمكننا قياس ما إذا كانت قد أدّت دورها المنشود أم لا.

والحسينية بما أنها المكان المخصّص لإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، فينبغي أن نراقب أداءها من هذه الجهة ونتساءل ما مقدار الإحياء المطلوب، والإحياء هو كما عرّفه الإمام الصادق عليه السلام: في الإجابة عن سائل سأله عن ماهية إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، قال: «**فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا**»[٢]،

(١) لمجلة الولاء الصادرة عن جمعية الرسالة الإسلامية، في البحرين، ١٤٣٠هـ.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٩٢.

أي بث علوم أهل البيت عليهم السلام وتوجيهاتهم ورسالتهم للبشرية، وكيف ينظرون للعالم وللمشكلات المعاصرة والحاضرة في المجتمع، فإذا عرف الناس ذلك الكلام، فإنهم يتبعونهم، ومن هو متبع لهم سوف يجسّد كلامهم في واقع حياته.

تأسيساً على ما تقدّم، نرى أننا بحاجة إلى المزيد من الوعي بحقيقة رسالة الحسينيات، ومعرفة ماهية الإحياء الذي حدده أهل البيت عليهم السلام وعدم إغفال جانب الاقتداء، بعد ذلك يمكن أن تقدّم الحسينيات رسالة أفضل للمجتمع، وتنتقل إلى أداء أفضل مما هي عليه.

نعم هي تحقق فوائد للمجتمع، ولكن الدور المطلوب أكثر طموحاً مما هو عليه الواقع بكثير.

***

السؤال الثاني: كيف يمكن الاستفادة من الجماهير الغفيرة في محرم بنهوض الحسينيات؟.

النهوض بالحسينيات يحتاج إلى أن تكون الإدارة ذات إدراك برسالة الحسينيات وما ينبغي أن تؤديه للمجتمع، فالناس مرتبطون فعليًّا بالحسينيات، وهو

ارتباط عقيدي من الصعب أن يتزلزل، فأفضل طريقة للنهوض بالحسينيات، هي أن تنهض همم الإدارات وأن تمتلك وعيًا رساليًّا، ليجسدوا ذلك على الواقع، فيتم اختيار الخطيب على هذا الأساس، ويتم العمل على هذا الأساس..

فالناس يقولون للإدارات نحن هنا، فيبقى السؤال، ما أنتم فاعلون؟.

***

السؤال الثالث: ما هو الدور التربوي والإعلامي للحسينيات في المجتمع؟.

الكثير من الجهات التي لا تنتمي للتشيّع بمختلف مشاربهم، ينظرون للحسينيات على أنها من أهم المكاسب الشيعية في مجال التأثير في المجتمع، وهم يحسدوننا على هذه النعمة الكبرى، وكل يعبّر عن هذا الشعور بطريقته، والأمر الذي يهمنا هو أننا نمتلك منابر إعلامية عظيمة وهي مؤثرة بسبب ارتباط الناس العقيدي بها، فلها الدور الأبرز في صياغة شخصية الإنسان والتوجيه الديني، وإيصال الفكرة الدينية للمجتمع.

***

السؤال الرابع: ما هو دور الحسينيات في بناء وتخريج الكوادر الفاعلة؟.

عندما نتكلم عن كادر فاعل في الأمة، فإننا نعني به ذلك الشخص الذي تتكوّن لديه قدرة إدارية وحسن تصرّف وتصدّي للأمور، وكل ذلك يكون نابعاً من الشعور بالمسؤولية، فإذا قامت الحسينيات عبر المنبر الحسيني ببث روح المسؤولية في الأمة، يمكن أن تخرج الحسينيات الطاقات والكوادر الفاعلة من أجل الدين والأمة.

***

السؤال الخامس: كيف يكون دور الحسينيات في توحيد الأمة؟.

لقد قالتها الزهراء عليها السلام: « طاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة »، بما أن الحسينيات هي التي تحيي أمر أهل البيت عليهم السلام، فهي تجسد قيمهم وتوجيهاتهم، وعندما نكون من المنتمين للإمامة فإن الحسينيات هي

محل سلوكنا وساحة فاعليتنا، والقلوب التي تؤمن بأهل البيت تتمحور حولهم، ووتوحد بطاعتهم، فحب أهل البيت عليهم السلام يجمع القلوب، هذه رسالة مهمة ينبغي ان تكون حاضرة أمامنا في الحسينيات وغير الحسينيات، فلا ينبغي النزاع والتناحر والتوتّر، فكل يعمل وفق ما يؤمن به، والكل يعذر الكل ويحترم الكل، ويتمنى التوفيق للكل.

والتوحد في إطار الولاية هو بداية لانفتاح وتوحد في القضايا المشتركة مع الآخرين.

***

السؤال السادس: دور الحسينيات أمام التحديات؛ العولمة، الفضائيات، الفساد الأخلاقي، الفتنة الطائفية؟.

الحسينيات هي من أهم المنابر التي يمكنها أن تكون في صف المواجهة ضد الفساد والإعلام وكافة المشكلات الاجتماعية والفكرية، خصوصاً مع وجود الفضائيات، حيث سينتقل تأثير الحسينية من حدودها الاجتماعي الضيّق، إلى التأثير الواسع للملايين من

المشاهدين.

***

السؤال السابع: كيف يمكن تطوير وتنشيط وتفعيل الحسينيات للمستقبل؟.

يمكننا أن نجعل الحسينيات ضمن الرهانات المستقبلية في التوجيه وبناء الشخصية ومواجهة الانحرافات، ويتم ذلك إذا نظرنا للحسينيات على أنها مؤسسات، المؤسسة يمكنها أن تنمو وتواكب التحديات المختلفة، ولأن الواقع يتقدم نحو بناء مؤسسات مدنية ودينية وثقافية قوية لتحافظ على وجودها ولكي تؤدي دوراً أكثر فاعلية، مع المحافظة على الإستمرار، فإن نظرتنا ينبغي أن تتجانس مع هذا التوجه، وهذا من مصاديق: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾[1] ومن مصاديق «**يَدَ الله مَعَ الجَمَاعَة**»[2] ومن مصاديق «**وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ**»[3].

***

(١) سورة المائدة: آية/ ٢.
(٢) نهج البلاغة، ١٢٧ – من كلام له عليه السلام وفيه يبين بعض أحكام الدين..
(٣) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٢٤.

السؤال الثامن: هل لديك اقتراحات لتطوير دور الحسينية في المجتمع؟.

يمكن التطوير عبر عدّة محاور هي كالتالي:

ألف: المحور الإداري الذي ينبغي أن ينتهج منهج المحاسبة وفقاً للإنجازات التي تحققها كل إدارة، لكي يكون هذا محفزاً لتقديم خدمات وأداء دور متقن في الشأن الإداري. وبمعنى آخر الانتقال من دور التصدي الإداري إلى التطوير الإداري.

باء: المحور الموضوعي، الذي يختص بالمادة العلمية والثقافية التي تقدّم للجمهور، فالاعتناء بها بالتعاون مع الخطيب، يمكنه أن يساهم في إعطاء المجتمع ما يفتقده وما يحتاجه.

جيم: المحور السلوكي، وهو الذي يختص بسلوك الجمهور في أداء الشعائر وفي حضور الحسينيات، كالالتزام بآداب المكان وقدسيته، والالتزام بحسن العشرة مع الناس، والنظام في كل التصرفات، لكي تعطي الأجواء انطباعاً حسناً للتربية الحسينية أمام الناس كافة.

***

المحتويات

تقديم ٥

الشعائر بنظرة رسالية ٩

الشعائر والمشاعر ١٥

الشعائر مقاصد إلى الله ٢٠

عاشوراء.. الوعي.. المجتمع: أيّة علاقة؟ . ٢٤

العمل الديني من الطور الفردي إلى الطور المؤسسي.. ٢٩

بين الحسينيات والجمعيات ٣٣

شريفة الأمريكانية وعاشوراء ٣٦

الإمام الحسين عليه السلام ثقافة ربّانية ٤٠

الإمام الحسين عليه السلام في وجدان المجتمع البحراني ... ٤٢

الإمام الحسين عليه السلام والمسار السياسي المعاصر ٤٧

(أسباب النزول) في الخطاب الحسيني..... ٤٩

كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء..... ٥٢

في إعلام كربلاء ٥٩

إلى الفضائيات الشيعية..... ٦٣

١- هذا هو الحسين عليه السلام: ٦٥
٢- هذه هي الثقافة الحسينية: ٦٦
٣- هذه هي شيعة الحسين عليه السلام: ... ٦٨
النقد غير المبرر للفضائيات الدينية .. ٧٠

القيمة الزينبية ٧٢

السيدة زينب عليها السلام الكلمة الحضارية ٧٤

المجالس الحسينية النسائية بين العاطفة والعقلانية..... ٧٩

المنبر الحسيني وأساليب التطوير ٨٢

حول الحسينيات بين الواقع والطموح ٨٧

المحتويات ٩٥